
وکالت سے عدالت تک


بسم الله الرحمن الرحیم

و كانت صديقه : روايه

كاتب:

سيد كمال

نشرت في الطباعة:

انصاريان

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
و کانت صدیقه : روایه ----- ۷
اشارة ----- ۷
القسمت ۰۱ ----- ۷
القسمت ۰۲ ----- ۸
القسمت ۰۳ ----- ۹
القسمت ۰۴ ----- ۱۰
القسمت ۰۵ ----- ۱۱
القسمت ۰۶ ----- ۱۲
القسمت ۰۷ ----- ۱۳
القسمت ۰۸ ----- ۱۴
القسمت ۰۹ ----- ۱۵
القسمت ۱۰ ----- ۱۶
القسمت ۱۱ ----- ۱۷
القسمت ۱۲ ----- ۱۸
القسمت ۱۳ ----- ۱۹
القسمت ۱۴ ----- ۲۰
القسمت ۱۵ ----- ۲۱
القسمت ۱۶ ----- ۲۲
القسمت ۱۷ ----- ۲۳
القسمت ۱۸ ----- ۲۴
القسمت ۱۹ ----- ۲۶
القسمت ۲۰ ----- ۲۷

القسمت ۲۱ ----- ۲۸
القسمت ۲۲ ----- ۲۹
القسمت ۲۳ ----- ۳۰
القسمت ۲۴ ----- ۳۱
القسمت ۲۵ ----- ۳۲
القسمت ۲۶ ----- ۳۳
القسمت ۲۷ ----- ۳۴
القسمت ۲۸ ----- ۳۵
القسمت ۲۹ ----- ۳۷
القسمت ۳۰ ----- ۳۷
القسمت ۳۱ ----- ۳۸
القسمت ۳۲ ----- ۴۰
القسمت ۳۳ ----- ۴۱
القسمت ۳۴ ----- ۴۲
القسمت ۳۵ ----- ۴۳
القسمت ۳۶ ----- ۴۳
القسمت ۳۷ ----- ۴۵
القسمت ۳۸ ----- ۴۶
القسمت ۳۹ ----- ۴۷
القسمت ۴۰ ----- ۴۸
تعریف المركز القائمیۀ باصفهان للتحریات الكمبیوتریۀ ----- ۴۸

و کانت صدیقه : روایه

اشارة

سرشناسه : سید، کمال ۱۳۳۶ – عنوان و نام پدیدآور : و کانت صدیقه : روایه کمال السید. مشخصات نشر : قم موسسه انصاریان ۱۴۱۶ق = ۱۹۹۵م = ۱۳۷۴. مشخصات ظاهری : ۲۳۵ص. شابک : چاپ دوم ۹۶۴-۴۳۸-۱۶۱-۰ ؛ چاپ سوم ۹۶۴-۴۳۸-۱۸۱-۰ یادداشت : چاپ دوم ۱۴۲۱ق= ۱۳۷۹. یادداشت : چاپ سوم ۱۴۲۴ق = ۲۰۰۳م = ۱۳۸۲. موضوع : فاطمه زهرا (س)، ۸؟ قبل از هجرت - ۱۱ق -- سرگذشتنامه رده بندی کنگره : BP۲۷/۲/س۸۷و۸ رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۷۳ شماره کتابشناسی ملی : م۷۵-۶۶۵۰

القسمت ۰۱

استیقظت «خدیجة» و شعور غریب بالفرحة و الأمل، ینبعث فی نفسها، انبعاث النور فی الظلام... و ربّما فکرت فی سبب ما لهذه الموجة الهانئة من الفرح... لم تکن تدری سبباً واضحاً لذلک.. فقد کان کل ما یحیطها یفجّر کوامن الحزن بل و یبعث علی المرارة و الیأس... هاهی تشهد کیف تصب قریش العذاب علی زوجها.. تضطهده.. تسخر منه.. و تکذّبه و هو الصادق الأمین. تساءلت فی نفسها: لعلّه الحمل الجدید و الشجرة المثمرة عند ما تحمل یعنی الربیع و الأمل و الحیاة. ولکن کیف و قد أخذ اللَّه «عبداللَّه والقاسم» من قبل. و ترکا فی قلبها حزناً عمیقاً کجرح لایندمل، ولکن لا... لا انها تشعر بالأمل.. یکبر فی أعماقها.. ینمو و یتفتّح کوردة فی الربیع. و حملها هذه المرّة عجیب خفیف تکاد تطیر به.. تشعر بالسکینة [صفحه ۱۰] تترقرق فی قلبها کنبع بارد.. کما لاحظت شیئاً آخر... مسحة من نور شفّاف تطوف فوق وجهها... و شیئاً آخر أیضاً.. انّها لم تعد تشتهی طعاماً سوی الرطب و العنب. أکملت خدیجة ارتداء حلّة الخروج.. فزوجها ینتظر، و «علیّ» الفتی الذی یتبع ابن عمه... یلازمه کظله، هو الآخر ینتظر. انطلق الثلاثة.. أخذوا سمتهم نحو الکعبة مهوی الأفئدة و بیتاً بناه ابراهیم لربّه. الکعبة تنشر ظلالها الوارفة فوق الأرض.. و السکینة تغمر المکان ما خلا حوار هادئ لرجال جالسین حول «زمزم» کان أحدهم یراقب مشهداً بدا له عجیباً.. کان یرنو إلی باب «الصفا». وقد طلع رجل بین الأربعین و الخمسین من عمره.. أقنی الأنف.. أدعج العینین کأنه قمر یمشی علی الأرض و إلی یمینه فتی یشبه شبلاً و خلفهما امرأة قد سترت محاسنها. قصد الثلاثة «الحجر الأسود» فاستلموه ثم طافوا البیت سبع مرّات؛ بعدها وقف الرجل و الفتی إلی یمینه و المرأة خلفهما. هتف الرجل الأدعج العینین: اللَّه أکبر فردّد الفتی وراءه: اللَّه أکبر وکذا المرأة خلفهما... رکع الرجل الأزهر الوجه ثم سجد والمرأة والفتی یتابعانه. [صفحه ۱۱] وحول «زمزم» تساءل رجل قدم مکة حدیثاً: - هذا دین لم نعرفه من قبل. أجاب رجل هاشمی: - هذا ابن أخی محمّد بن عبداللَّه و امرأته خدیجة وهذا الفتی علی بن أبی‌طالب و ما علی وجه الأرض من یعبد اللَّه بهذا الدین إلّا هؤلاء الثلاثة. ساد الوجوم وجوه الرجال وهم یراقبون موکباً صغیراً یغادر الکعبة حتی تواری خلف جدران البیوت. و تمرّ الأیام و تمرّ الشهور و یکبر الحمل.. و یتألّق وجه خدیجة بالنور. یشتدّ سطوعاً... و تبدأ آلام المخاض. و بین صخور «حراء» کان محمّد یتأمل مکة، یفکر فی مصیر العالم و طریق الإنسان. بدا وجهه حزیناً کسماء مزدحمة بالغیوم... یفکّر فی قومه.. یحزن من أجلهم.. یرید أن یفتح عیونهم علی النور الذی اکتشفه فوق الجبل، لکنّهم صدّوا عنه... اعتادوا حیاة الخفافیش فی الظلام... أعرضوا عن ملکوت السماوات.. فسقطوا فی حضیض الأرض... ضاعوا بین عناصر التراب والطین. لن یدعوا شیئاً إلّا و فعلوه.. آذوه.. سخروا منه.. عیّروه. قالوا: [صفحه ۱۲] إنه ساحر کذّاب.. أبتر سیموت و یموت ذکره.. فلیس له ولد. شعر بسکین حادّة تغوص فی قلبه و هو یتذکّر سخریتهم منه.. ینادونه بالأبتر. النبی یفکّر فی قومه حزیناً حزن نوح و ابراهیم و موسی و عیسی بن مریم. آخر الأنبیاء یفکّر غیر ملتفت لما یجری حوله. تکهرب الفضاء.. غلالة شفافة کالضباب تملأ المکان.. و قد غمر الصمت جمیع الأشیاء.. اختفت الأصوات.. تلاشت و لم یعد «محمّد» یسمع

شيئاً سوى كلمات.. تنفذ فى أعماقه نفوذ النور فى المياه الرائقة.. كلمات مؤثّره عميقة جفّ لها ريقه.. تصبب لها جبينه.. فبدا كحبّات لؤلؤ منثور.. الكلمات تضىء فى أعماقه كالنجوم: - إنّا أعطيناك الكوثر. فصلِّ لربِّك و انحر. أن شانئك هو الأبتر. و انقلب الرسول إلى بيته فرحاً.. و لما دخل على زوجته وجدها هى الأخرى فرحة.. تنظر اليه بعينين تفيضان حبّاً.. هتفت بصوت يشوبه اعتذار: - إنى وضعتها اُنثى و ليس الذكر كالاُنثى. تمتم النبى و هو يحتضن هدية السماء بحب: - إنّا أعطيناك الكوثر.. اسميها فاطمة.. ليفطمها اللّه من الشرور. [صفحه ۱۳] كلؤلؤة فى حنايا صدفة بدت فاطمة بفمها الدقيق.. بعينيها الواسعتين كنافذتين تطلّان على عالم واسع.. عالم يموج بالصفاء والسلام. أضاء الأمل منزلاً صغيراً من منازل مكّة.. و تفتّحت فاطمة للحياة كما تتفتح الورود و الرياحين؛ و نمت فى أحضان دافئة تنعم بقلبين ينبضان حبّاً لها و بنظرات تغمرها حناناً و رأفة. و كبرت فاطمة.. نمت و بدأت تعى شيئاً ممّا يجرى حولها تنظر إلى أمّها يغمره الحزن.. و ربّما شعرت بمرارة تعتصر قلب أبيها و هى لا تعرف بعد سبباً لذلك.. تهفوا نحو أمّها تقبل أباها.. فتعود البسمة إلى الوجهين الحزينين... و تشرق الفرحة من جديد كما تشرق الشمس من بين الغيوم لتغمر الأرض بالدفء والنور والأمل. و تمرّ الأيام.. و تنمو فاطمة.. و يعصف القدر بقسوة.. وتجد الطفلة نفسها بين ذراعى والدتها فى وادٍ غير ذى زرع.. حيث أيام الجوع و الخوف و الحرمان.. تصغى إلى أنّات المظلومين.. و تتأمّل سيوفاً مسلولة فى الظلام. كبرت فاطمة فى الشِعب. فطمت اللبن و درجت فوق الرمال. ومرّ عام. ومرّ بعده عامان آخران.. فجأة اختطف القدر امّها.. فقدت نبعاً ثرّاً من الحبّ... [صفحه ۱۴] فاطمة تبحث عن أمّها. تسأل أباها الحزين. - أبه أين اُمى؟ ويجيب الأب المقهور و هو يحتضن ذكراه الغالية: - أمّك فى بيت من قصب لا تعب فيه و لا نصب. تلوذ بالصمت.. تفكّر فى أمّها. عيناها تبحثان عن نبع سماوى ولكن دون جدوى. كبرت فاطمة فى زمن الحرمان.. فى زمن الحصار.. فى زمن اليتم.. فى زمن القهر.. لهذا نشأت الطفلة نحيلة القوام كغصن كسير.. رسم القهر فى عينيها الواسعتين لوحة حزينة منظراً ساكناً يغمره الصمت.. تفكّر.. تنطوى على نفسها فى استغراق يشبه صلاة الأنبياء، نشأت فاطمة فى زمن الجدب.. فغدا عودها صلباً ضارباً فى الأرض جذوراً بعيدة الغور.. فبدت أكبر من سنّها و نهضت تملأ فراغاً هائلاً أحدثه رحيل والدتها.. نهضت سيّدة صغيرة.. أمّاً رؤوماً لوالدها الذى أضحى وحيداً. و تمرّ الأيام.. و ذات مساء خرج المحاصرون فى «الشعب» إلى مكّة. عادوا إلى ضجيج الحياة لتبدأ فصول اُخرى من تاريخ مثير يزخر بالأحداث.. منذ الساعة التى التقت فيها السماء بالأرض فى غار حراء. [صفحه ۱۵]

القسمت ۰۲

ملأ رغاء الجمال فضاء مكة، فقد آبت القوافل التى انطلقت إلى اليمن، فى رحلة الشتاء؛ كان الجو بارداً و السماء تزدحم بغيوم رمادية؛ و صخور الجبال الجرداء بدت و كأنها تتضرع إلى السحب تنشدها قطرات المطر. و شيئاً فشيئاً خفتت الأصوات و آبت الطيور إلى أو كارها ساعة المغيب، و بدا البيت خالياً موحشاً كصحراء مقفرة؛ كانت «فاطمة» مستغرقة فى تفكير عميق تطوف فى خيالها سورة «مريم» تلك الفتاة البتول التى انقطعت عن العالم فى صومعتها تعبد اللّه تتبتل اليه وحيدة.. تستكشف آفاق السماء متخففة من أثقال الأرض. جلست فاطمة تترقب أوبة أبيها، و بدا المنزل خالياً من كل شىء «لا- زينب، و لا- رقية» و لا- «ام كلثوم» ذهبن ثلاثتهن إلى بيوت أزواجهنّ؛ زينب استقرت فى بيت «أبى‌العاص بن الربيع» و اُم [صفحه ۱۶] «جميل» اختطفت «رقية» و «اُم كلثوم» لولديها «عتبة» و «عتيبة»؛ و كل هذا يهون أمام مصيبة كادت أن تعصف بكلّ شىء.. لقد رحلت أمّها.. «خديجة» ذلك النبع المتدفق حناناً و حبّاً و دفئاً.. - لكِ اللّه يا أمّى.. ما كادت أعوام الحصار تمضى بأيّامها الصعبة ولياليها المضنية حتى ودّعتى الدنيا ليبقى والدى وحيداً و هو أشدّ الناس حاجة إلى من يؤازره ويقف إلى جانبه.. ولكن يا أمّاه سأجهد نفسى لأملأ الفراغ الذى جثم على البيت بعد رحيلك. سأكون له بنتاً و اُمّاً.. سأمسح دموعه بيدين تشبهان يديك و سأبتسم له كما كنتِ تضيئين قلبه بابتسامتك. ولكن يا أمّاه أنا ما أزال صغيرة ليتك صبرت قليلاً، أبى كان قويّاً بك.. و كان يتحدى العاصفة بعزم «أبى طالب» شيخ البطحاء تكفله صغيراً وحماه كبيراً غير انكما تركتماه وحيداً و استرحتما من هم الدنيا و غمّها و حقّ لكما أن تستريحا و قد عصفت بكما النوائب من كل مكان و سدّد لكما الدهر سهاماً

مسمومهٔ و حراباً. أجل یا أمی... لقد اظلمت الدنیا نشر المساء ستائره السوداء و هذا عامنا عام حزن.. ها أنا انتظر أوبهٔ أبی.. أبی الذی یرید تبدید الظلام بنور الإسلام.. ولکن مکهٔ ترفض ذلک.. تتمنع و فیها من یحبّ حیاهٔ الظلمات کما الخفافیش لاتهوی النور و لا تحبّ النهار. [صفحه ۱۷] سمعت «فاطمهٔ» خطیً هادئهٔ کنبضات قلبٍ یخفق أملًا، خطیً تعرفها فاطمهٔ.. لهذا هبّت کفراشهٔ تهوی إلی النور بقوامها النحیل بعینیها الواسعتین سعهٔ الصحراء وبابتسامتها المشرقهٔ بالأمل... ولکن لم تسمرت «فاطمهٔ» فی مکانها کأن خنجراً یطعن قلبها طعنهٔ نجلاء.. عاد أبوها حزیناً بدا وجهه کسماء مدلهمهٔ بسحب من رماد، کان ینفض عن رأسه و وجهه التراب و الأوساخ و تمتم الرسول بحسرهٔ: - و اللّه ما نالت قریش منی شیئاً أکرهه إلّا بعد موت أبی‌طالب. اهتزّت «فاطمهٔ» لهول ما تری وبدت کسعفهٔ أغضبتها الریح... یا لصبر الأنبیاء... شعرت بالانکسار. کیف سوّلت لذلک السفیه نفسه أن یمسّ بالسوء وجهاً یسطع بالنور... بکت بانکسار.. وسالت دموعها حزینهٔ حزن سماء تمطر علی هون. مسح الأب دموع ابنته ثم قال وعیناه تشعان أملًا: - لا تبکی یا فاطمهٔ.. ان اللّه ناصر أباک علی أعداء رسالته. انحسرت الغیوم عن السماء فبدت صافیهٔ مشرقهٔ وعادت الابتسامهٔ إلی الوجه الملائکی... ولکن عتباً کان یموج فی قلبها: - تری أین کان فتی شیخ البطحاء... و هو لایکاد یفارق أباها... [صفحه ۱۸] یتبعه کظلّه.. یدفع عنه أذی السفهاء من قریش و نسیت فاطمهٔ کلّ شیء بعد أن ناداها أبوها فخفّت الیه کحمامهٔ بریّهٔ تهفو إلی عشّها. ابتسمت فاطمهٔ... فانعکست ابتسامتها فی وجه أبیها.. ابتسم محمّد.. أشرقت علی قلبه شمس تغمره بالدفء و الأمل والحیاهٔ.. یالهذه الحوریهٔ الصغیرهٔ ذکری خدیجهٔ.. وباقهٔ ورد من جنّات السماء. جلست فاطمهٔ بین یدی والدها النبیّ زهرهٔ تتفتح.. تتشرب کلمات اللّه. و تضیء الکلمات قلبها کنجوم فی سماء صافیهٔ. و تمر ثلاثهٔ أعوام. و نمت فاطمهٔ.. و تفتحت للحیاهٔ کما تتفتح الأزهار فی الربیع. [صفحه ۱۹]

القسمت ۰۳

شیءٌ یلوح فی سماء مکهٔ.. لعلها خیوط مؤامرهٔ تحوکها قریش کما تحوک العنکبوت بیتاً هو أهون البیوت. أبوجهل بدا مربّد الوجه غاظه محمد.. وقد أصبح حدیث العرب فی الجزیرهٔ.. السیاط تنهال علی فقراء المسلمین، و الإسلام ینتشر کنهر دافق تنثال میاهه علی الشطآن الرملیهٔ. و أبوجهل لایروق له ذلک. غاظه رحیل محمد إلی الطائف یدعو قبائلها إلی دینه، و أفقده صوابه أن یبایعه رجال من یثرب... لقد مات أبو طالب و انتهت زعامته.. و اختفت خدیجهٔ و تبددت ثروتها.. و آن لمحمّد أن یموت لیمت هذا المتمرّد الذی یرید تحطیم الأصنام آلههٔ الآباء و الأجداد و حارسهٔ قوافلنا و مصدر هیبتنا؛ ولکن کیف السبیل إلی قتل محمّد.. إنه لمخ یعد وحیداً.. یحوطه رجال أشدّ من الحدید بأساً.. انّه لا ینسی صفعهٔ حمزهٔ صیاد الأُسود. ولکن [صفحه ۲۰] حمزهٔ قد فرّ من مکهٔ. ترک ابن أخیه وهاجر. و اذن فان کل شیء مهیأ للضربهٔ القاضیهٔ. و یالها من فکرهٔ رهیبهٔ تفتقت عن شیطان مکّهٔ. شمت «فاطمهٔ» عبیر الوحی ورأت أباها وجبینه یتصبب عرقاً.. اکتنفه جبریل یسرّه کلمات عظیمهٔ یکشف له خیوط العنکبوت. غمر اللیل مکهٔ. ملأ أزقّتها بظلمهٔ مخیفهٔ؛ و بدت النجوم وهی تومض من بعید لآلئ متناثرهٔ فوق عباءهٔ سوداء.. تقاطر رجال من مختلف القبائل یخفون سیوفاً و خناجر کأشباح، اللیل کانوا یمرقون خلف أبواب مکهٔ الموصدهٔ و أبوجهل ینتظر اللحظهٔ الحاسمهٔ. لسوف یغمد شباب مکّهٔ سیوفهم فی قلب محمد و ینتهی کل شیء.. و سیری الحیرهٔ بادیهٔ علی وجوه بنی هاشم... لقد قُتل محمد وضاع دمه.. تفرّق بین القبائل. کان أبوجهل یعبّ خمرته منتشیاً بفکرته.. ستبقی مکهٔ تتحدث فی أندیتها عن فطنهٔ أبی‌جهل. فرک شیطان مکهٔ یدیه وراح ینظر من خلال کوهٔ تفضی إلی زقاق ملتوٍ منتظراً عودهٔ فتیانه. تمتم النبیّ بخشوع و قد استدعی ابن عمه علیا: -«وإذ یمکر بک الذین کفروا لیثبتوک أو یقتلوک أو یخرجوک... و یمکرون و یمکر اللّه و اللّه خیرُالماکرین». [صفحه ۲۱] أن یصمد الرجال فی المعارک یقاتلون حتی النفس الأخیر فتلک شجاعهٔ فریدهٔ تدعو إلی الاعجاب.. ولکن أن یقدّم المرء نفسه للموت تتخطفه سیوف و خناجر فهذا لا یمکن أن تستوعبه أبجدیهٔ ما مهما بلغت من دقهٔ التعبیر وسمو المعنی. همس علی و هو یصغی إلی حدیث رجل رافقه أکثر من عشرین سنهٔ. - أو تسلم یا رسول‌اللّه ان فدیتک بنفسی؟ - نعم بذلک وعدنی ربی. کان علیّ حزیناً فمکهٔ تتآمر علی قتل انسان بعثته السماء لخلاص الأرض،

ولكن حزنه تبدل إلى فرحة كبرى فتقدم إلى فراش النبى بخطى هادئة و التحف ببردته ينتظر السيوف التى ستمزّقه و ستتدفق دماؤه نقية طاهرة ترسم فوق الأرض قصة رائعة من قصص الفداء. كانت الأشباح المخيفة تتلصص من خلال شق فى الباب فترى محمداً ما يزال يغطّ فى نومه هادئاً. – ما يزال نائما. – ولن يستيقظ بعد الليلة أبداً. – سأغمد خنجرى فى قلبه. – هذا الذى يسخر من آلهتنا. تطلّع أحدهم من شقّ الباب و عاد ليطمئن أصحابه: [صفحه ۲۲] – ننتظر حلبة شاة ثم ندهمه. مثل طيف ملائكى انسل النبى من بيته مهاجراً متجهاً صوب الجنوب لايلوى على شىء، و هو يدعو اللّه أن يحمى فتى الإسلام على: – ربِّ اجعل لى وزيراً من أهلى. لم يخالج النوم عينى فاطمة تلك الليلة. هاهو والدها العظيم يودّع مكة خائفاً يترقّب... لا تدرى عن مصيره شيئاً، و فى فراشه ينام فتى أبى‌طالب سوف تتخطفه سيوف القبائل... و الليلة حبلى بالمفاجآت. ووجدت فاطمة نفسها تتضرع إلى اللّه أن ينصر أباها كما نصر موسى من قبل و أن يحمى ابن شيخ البطحاء. اقتحمت الضباع منزل النبى، و كانت السيوف و الخناجر تتجه إلى رجل نائم ملتحفاً برداً حضرمياً أخضر. هبّ الفتى من فراشه كأسد غاضب وانتزع سيف أحد المهاجمين الذين تسمّروا فى أماكنهم لهول المفاجأة. صرخ أحدهم: – أين محمد؟ وجاءه الجواب ثابتاً ثبات جبل حراء: – لست عليه وكيلًا. تنفس الصبح و استيقظت مكة على أنباء مثيرة. لقد أفلت محمد وهاهو الان فى طريقه إلى يثرب وانطلق فرسان أشداء يجوبون [صفحه ۲۳] الصحراء بحثاً عن رجل شريد. لا أحد يعلم عن مكان النبى إلا فتى فى العشرين من عمره، عاد لتوه من غار فى جبل ثور حيث ودع النبى بعد أن أمن الطلب؛ عاد على ينفض عن نفسه غبار الطريق و يفكر فى وصايا النبى. لقد بقيت عليه مهمة واحدة أن يؤدى الأمانات إلى أهلها و يحمل الفواطم وضعفاء المسلمين إلى يثرب... ابتاع على «إبلاً»، وأسر إلى والدته فاطمة بنت أسد أن تتهيأ للهجرة و تخبر فاطمة بنت محمد و فاطمة بنت حمزة و فاطمة بنت الزبير. تحركت قافلة الفواطم يقودها على ماشياً و التحقت بالركب اُم أيمن و أبو واقد. و تسلل ضعفاء المسلمين ليلًا إلى «ذى طوى» حيث واعدهم على هناك. كان أبوواقد يسوق الركب سوقاً حثيثاً، و أدرك على ما يموج فى أعماق أبى واقد من الخوف و الهلع فقريش لن تغفر له ذلك أبداً. هتف على مهدئاً: – إرفق بالنسوة يا أبا واقد. وقرب (ضجنان) لاحت للقافلة ثمانية فرسان يثيرون الغبار... كانوا ملثمين و عيونهم تبرق بالشرّ. [صفحه ۲۴] صاح علىّ بأبى واقد وأيمن: – انتحيا بالإبل واعقلاها. الصحراء مدّ البصر تموج بالرمال و علىّ الذى أنهكه المشى هو رجل القافلة الأوّل فتى تعدّى العشرين بثلاث. كانت العيون تتجه اليه أمه تراقبه متوجسة. و بنت محمد تخاف عليه سيوف أعداء أبيها، و أبوواقد لا حول له و لا قوة. وقف على وعيناها تقدحان شرراً. هتف فارس لم يكتشف علياً بعد: – أظننت يا غدار انك ناجٍ بالنسوة.. ارجع لا أبا لك. – فإن لم أفعل؟. – لترجعن راغماً. ودنا أحدهم من النوق لإثارتها. فاعترضه علىّ وهوى بسيفه وسقط الفارس فوق الرمال. تسمر الفرسان. لقد أخذتهم المفاجأة. انهم لم يروا فى حياتهم ضربة كهذه. صاح أحدهم و قد رأى الفتى يستعد للهجوم: – احبس نفسك عنّا يا ابن أبى‌طالب. وهكذا دخل علىّ دنيا الفروسية، كما دخل دنيا الفداء قبل أيام. وسارت سفن الصحراء تشقّ طريقها على مهل صوب يثرب، تسير ليلًا و تكمن نهاراً. [صفحه ۲۵]

القسمت ۰۴

السماء مرصعة بالنجوم... تتلألأ من بعيد كلالئ منثورة. حطّ المهاجرون عصا الترحال فى «ضجنان» وانحنى على يعالج قدميه و قد تفطرتا من المشى مئات الأميال. بركت النوق فوق الرمال تلتقط أنفاسها و تشم رائحة وطن قريب. عينا فاطمة تسافران بين النجوم تستكشفان آفاق السماء... حيث انطلق أبوها فى رحلة الاسراء و المعراج على ظهر البراق. عينا فاطمة ما تزالان مسمرتين فى النجوم، و قد أزهر وجهها كوكب صغير هبط على الأرض، وبدا القمر فى آخر ساعات الليل أصفر الوجه كما لو أجهده السهر،همست فاطمة فى نفسها تناجى: – أنت وحدك الباقى... كلُّ شىءٍ آخذ طريقه نحو المغيب، النجوم، القمر.. الأرواح البيضاء تتجه اليك لا ـ تبالى بأشواك الطريق فى الصحراء حتّى لو كانت حافية القدمين... [صفحه ۲۶] أنت وحدك الحق يا رب... أنت نور عينى و فرحة قلبى... دعنى ألج ملكوتك اسبحك واطوف مع النجوم حول عرشك.. أنت وحدك الحقيقة و ما سواك وهمٌ.. أنت وحدك نبع الحياة

وعداك سراب يحسبه الظمآن ماء. فی «قبا» هبط جبرئیل یحمل کلمات السماء إلی رجل فرّ من اُمّ القری ینبئه عن مسار قافلهٔ فیها ابنته و امرأهٔ ربّته وفتی ربّاه فی حجره فلما اشتدّ ساعده وقف إلی جانبه یفدیه بنفسه... فاح عبیر الوحی... ملأ فضاء «قبا» حیث بنی الرسول أوّل مسجد فی الإسلام: - «والذین یذکرون اللّه قیاماً وقعوداً و علی جنوبهم و یتفکرون فی خلق السماوات و الأرض ربنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانک فقنا عذاب النار. فاستجاب لهم ربّهم انی لا اُضیع عمل عامل منکم من ذکرٍ أو اُنثی بعضکم من بعض فالذین هاجروا من دیارهم و أوذوا فی سبیلی و قاتلوا و قتلوا لأُکفرنّ عنهم سیئاتهم و لأدخلنهم جنّاتٍ تجری من تحتها الأنهار ثواباً من عند اللّه و اللّه عنده حسن الثواب». کان النبیّ یترقّب وصول القافلهٔ المهاجرهٔ فیها أخوه و ابنته و امرأهٔ ربّته. کلمات جبریل ما تزال تطوف فی خیاله و هو ینظر إلی الأفق البعید ولکن لاشیء سوی الرمال السمراء... [صفحه ۲۷] ولو قدّر لأحد کان فی «قبا» لرأی رجلًا قد ذرف علی الخمسین لیس بالطویل و لا القصیر کان ربعهٔ «و قد جعل الخیر کله فی الربعهٔ»؛ أزهر الوجه، ناصع البیاض مشرباً بحمرهٔ خفیفهٔ لعلّها من أثر الشمس و ریاح الصحراء، رجل الشعر یبلغ شحمهٔ اُذنیه و یکاد یلامس منکبیه؛ واسع الجبین، مقوّس الحاجبین کهلالین، و کانت عیناه نجلاوین واسعتین؛ اقنی الأنف، کأنّ أسنانه لؤلؤ منضود فاذا مشی مشی الهوینی متقارب الخطی کزورق ینساب علی هون. وقف النبیّ یتأمل الصحراء المترامیهٔ تمسح عیناه الأفق البعید، ینتظر أحبّهٔ فارقهم فی لحظهٔ لیل وقد حاصرته ذئاب مکهٔ. غمر اللیل الصحراء و آب النبی إلی مضارب «بنی سهم»، وقد بدا علی وجهه حزن کحزن آدم یوم بحث فی الأرض عن حوّاء. وصلت القافلهٔ بسلام، وخفّ الأب للقاء ابنته ذکراه الغالیهٔ من خدیجهٔ... خدیجهٔ التی رحلت بعیداً و ترکته وحیداً. عانقت البنت أباها. غرقت فی عبیر رجل سماوی، فاضت عیناها دموعاً، دموع فرح و دموع رحمهٔ. - یا لعذاب محمد.. یالعذاب الأنبیاء. ربما دهشت بعض النسوهٔ وهن یتطلعن إلی رجل ذرف علی الخمسین یجتاز فی لحظهٔ نصف قرن من الزمن لیتحول إلی طفل [صفحه ۲۸] یرتمی فی أحضان أمه. تمتم رسول السماء یضع حدّاً لأسئلهٔ تناثرت فوق الرمال: - فاطمهٔ اُمّ أبیها. فاطمهٔ بربیعها الثالث عشر تتحول إلی اُمّ لأعظم الأنبیاء. - و فاطمهٔ بضعهٔ منی. نظر محمّد إلی عینی ابنته کان یبحث فیهما عن فتی شری نفسه للّه. - انه هناک یا أبه.. تشققت قدماه.. سال منهما الدمّ.. الشوک والرمضاء و مشاقّ الصحراء... و لا ناقهٔ عنده و لا جمل. تألقت عینا النبی: - انّه أخی. مضی محمّد للقاء أخیه المهاجر.. وهبَّ الفتی للقاء رسول السماء.. نسی آلامهُ. رشّ الرسول کفیه برحیق النبوّهٔ ثم مسح علی قدمی الفتی المهاجر، کأُمّ رؤوم تمسح رأس ولیدها لیغفو و ینام.. سافرت الآلام و وجد علی نفسه فی مهد امّه فی أحضان رجل ربّاه صغیراً.... فغفا و نام، ونهض الرجل المکی تارکاً ولید الکعبهٔ یلتقط أنفاسه بعد رحلهٔ مریرهٔ فی رمال الصحراء. [صفحه ۲۹]

القسمت ۰۵

دخلت القافلهٔ یثرب وانطلقت أناشید الفرح تملأ الفضاء... طلع البدر علینا من ثنیات الوداع وجب الشکر علینا ما دعا للّه داع أیُّها المبعوث فینا جئت بالأمر المطاع جئت نورت المدینهٔ مرحباً یا خیر داع وامتزجت کلمات الفرح مع زغارید النسوهٔ وارتدت یثرب حلّهٔ جدیدهٔ. و مرت «القصواء» تشقّ طریقها بین الجماهیر و تناثرت کلمات رجاء هنا و هناک: - انزل یا رسول‌اللّه علی الرحب والسعهٔ. - دعوا «الراحلهٔ» فإنها مأمورهٔ. وسارت «القصواء» حتی اذا وصلت بیت «أبی‌أیوب» شمّت [صفحه ۳۰] رائحهٔ وطن فأناخت رحلها وبرکت، وفی تلک البقعهٔ من أرض اللّه ارتفعت قواعد مسجد قدر له أن یصنع التاریخ و الحضارهٔ. و تساءل بعض المسلمین تری کیف ندعوا إلی الصلاهٔ. قال أحدهم: - ننفخ بالبوق کما یفعل بنو قریظهٔ... ألسنا نتجه فی الصلاهٔ إلی قبلتهم؟. - الناقوس أفضل... ناقوس النصاری له صوت ساحر.. و کان للسماء رأی آخر... هبط جبریل یحمل النداء، ان اللّه یأمرکم أن ترفعوا الأذان.. و ترقرقت فی جنبات المدینهٔ کلمات السماء و کان بلال یدعو المسلمین: اللّه أکبر حی علی الفلاح حی علی الصلاهٔ. و تمرّ الأیام، و یشتد عود الإسلام؛ و نمت فاطمهٔ... تفتحت للحیاهٔ الجدیدهٔ.. حیاهٔ تنبض بدفء الایمان و الأمل.. و أبوها محمد یرسم الطریق الذی یمر عبر یثرب قلب العالم. توالت الأحداث و تستیقظ جزیرهٔ العرب علی انباء ستغیر مسار التاریخ. اتجه المسلمون إلی الکعبهٔ فی الصلاهٔ بعد ما

كانوا يتّجهون إلى بيت المقدس... واغتاظ اليهود... ثم ولد رمضان... رمضان الكريم، و أصبح للمجتمع الوليد أعياد فرح.. عيد «الفطر» و عيد [صفحه ۳۱] «الأضحى» و تدفّق نهر الزكاة يطهر الأغنياء و يحيى الفقراء؛ ثم هبّت المدينة لتشارك كلّها فرحة النبى والذين آمنوا معه. كبرت فاطمة سيدة النساء... اُم أبيها... نفسى التى بين جنبى... و فاطمة بضعة منى... مضى «أبوبكر» و هو يحث الخطى إلى منزل النبى... وفى قلبه اُمنية طالما حدّث بها نفسه. لاشك أن رسول‌اللّه سيقبل طلبه فهو صاحبه الذى هاجر معه فارّاً من مكة... و تحمل معه مشاقّ الهجرة و مخاطر الطريق... ثم انه قد زف اليه ابنته عائشة وهى ما تزال صغيرة بعد... و أىّ شرف عظيم من مصاهرة رسول‌اللّه... طرق «الصحابى» الباب برفق... جلس قبالة النبى... - جئتك خاطباً يا نبى‌اللّه. تمتم النبى: - أمرها إلى ربها. نهض «أبوبكر» و استأذن بالإنصراف... و فى الطريق كان أبو عائشه يفكر- ألا يكون قد أغضب النبى فينزل فيه وحى من السماء. وسمع «أبوحفصة» بقصة صاحبه فاستيقظت فى نفسه رغبة سرعان ما استجابت لها جوارحه... مضى «عمر» مسرعاً نحو منزل «الرسول» و استأذن فى الدخول [صفحه ۳۲] عليه... انه لا يحب الانتظار أكثر من ذلك فقال على الفور: - جئتك خاطباً ابنتك فاطمة. قال النبى: - انتظر بها أمر اللّه... و هيمن صمتٌ ثقيل.. و نهض «أبوحفصة» بعد أن استأذن النبى و غادر المنزل مثقل الخطى و وجد نفسه يمضى إلى منزل صاحبه «أبى‌عائشة» ربما ليتحدث معه بشأن «فاطمة»، ترى من سيحظى بهذا الشرف الرفيع... مَن سيقترن بسيّدة نساء العالمين. [صفحه ۳۳]

القسمت ۰۶

نسيم عليل كان يداعب سعفات النخيل، يحركها برفق، و ظلال وارفة تنتشر تطرّز أرض رجل من «الأنصار».. كان علىّ ما يزال منهمكاً بارواء نخلات باسقات يحمل المياه على بعير له بأجر... و قد تصبب عرقاً... جلس الفتى الذى بلغ من العمر خمسة و عشرين سنة... جلس يلتقط أنفاسه... أسند جذعه إلى جذع نخلة ميساء و طافت أمامه آيات من القرآن... - «ربِّ إنى لما أنزلت إلىّ من خيرٍ فقير». من بعيد لاح له رجلان قادمان كانا يحثّان الخطى... سرعان ما عرفهما. عرف أوّلاً عمر يعرف طريقته فى المشى، ثم تعرّف «أبابكر» لأنه طالما شاهدهما معاً... فهناك ما يشبه الصداقة بينهما... تمتم أبوعائشة: [صفحه ۳۴] - يا أباالحسن.. لم تبق خصلة من خصال الخير إلّا ولك فيها سابقة و فضل.. و أنت من رسول‌اللّه بالمكان الذى قد عرفت من القرابة و الصحبة و السابقة... فما يمنعك أن تذكرها لرسول‌اللّه و تخطبها منه. قال عمر دون مقدمات: - و قد خطبها الأشراف من قريش فردّهم... و أظنه قد حبسها من أجلك. أمسك «أبوبكر» بخيط الحديث: - ما الذى يمنعك يا على أن تذكرها!! تمتم علىّ وقد لاحت فى عينيه غيوم ممطرة: - واللّه إن فاطمة لموضع رغبة. وأردف و هو يقلّب يديه: - ولكن يمنعنى قلّة ذات اليد... أنا لا أملك من حطام الدنيا سوى سيف و درع و هذا البعير. قال أبوبكر متأثّراً: - إن الدنيا لدى رسول‌اللّه كهباء منثور. و قال عمر و هو يحثّه: - اخطبها يا على تزدد فضلاً إلى فضلك. سكت علىّ و طافت فى عينيه أحلام جميلة. [صفحه ۳۵] نهض على الى ساقية قريبة وراح يتوضأ، أشاعت برودة الماء السلام فى روحه؛ و أدرك الشيخان ان «عليّاً» قد حزم أمره، فغادرا المكان وقفلا عائدَين. كان «النبىّ» جالساً فى حجرة اُم‌سلمة، و كان عبير الوحى يطوف فى سماء المكان. ارتفعت طرقات على الباب... وهتفت اُم‌سلمة: - مَن الطارق؟ قال النبى و قد عرفه: - افتحى له.. هذا رجل يحبّه اللّه و رسوله. فتحت اُمّ‌سلمة الباب... و تريث «الطارق» ريثما تعود «اُمّ‌المؤمنين» إلى خدرها: - السلام على رسول‌اللّه. - وعليك السلام يا أباالحسن. جلس ربيب النبى مطرقاً.. تلالات حبات عرق فوق جبينه الواسع... كلمات تطوف فى أعماقه.. و قد انتصب الحياء سدّاً كصخرة صماء تقطع تدفق الساقية. أدرك النبىّ ما يموج فى أعماق على، فقال والبسمة تطفح فوق وجهه: [صفحه ۳۶] - يا أباالحسن كانّك أتيت لحاجة فقل حاجتك. انفتحت أمام الفتى كوّة من أمل و وجد نفسه يقول: - يا رسول‌اللّه... إن اللّه هدانى بك و على يديك و قد أحببت أن يكون لى بيت و زوجة أسكن اليها و قد أتيتك خاطباً ابنتك فاطمة. كانت اُمّ‌سلمة تنظر إلى وجه النبىّ، فرأت بسمة تطوف فى محياه. قال النبى: - يا علىّ انه قد ذكرها قبلك رجال فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة فى وجهها، ولكن على

رسلك حتی أدخل علیها. نهض النبیّ، و نهض علیّ إجلالاً له. - یا فاطمهٔ. - لبیک یا رسول‌اللَّه. - ان علی بن أبی‌طالب من قد عرفت قرابته و فضله و إسلامه.. و إنی قد سألت ربی أن یزوجک خیر خلقه و أحبهم الیه؛ و قد ذکر من أمرک شیئاً فما ترین؟ أطرقت فاطمهٔ و کانت علامهٔ رضا تطوف فوق وجهها تغالب مسحهٔ حیاء صبغت و جنتیها بحمرهٔ خفیفهٔ کشمس صباح باسم. هتف النبیّ مستبشراً: - اللَّه أکبر سکوتها رضاها. [صفحه ۳۷] تدفّق ینبوع فرح فی بیت اُمّسلمهٔ. طاف الخبر السعید منازل المدینهٔ کفراشهٔ تدور، تحطّ هنا و ترفرف هناک؛ و حلّقت فی الأفق أحلام العذاری؛ و شمّ بعض أهل «الصفهٔ» رائحهٔ ولیمهٔ عرس. قال النبیّ و هو یتطلّع إلی صهره: - هل معک شیء اُزوجک به؟ عرض الفتی بضاعته المزجاهٔ: - سیفی و درعی و ناضحی. - أمّا سیفک فالأسلام یحتاج الیه و أمّا ناضحک فتنضح به علی نخلک و تحمل علیه رحلک، ولکنی رضیتُ بدرعک. و انطلق علی عارضاً درعه علی من یشتریه و سرعان ما وجد له مبتاعاً... اشتراها منه «عثمان» و أقبل الفتی یحث خطاه إلی منزل النبی، فصب الدراهم بین یدیه و کانت أربعمئهٔ درهم. انطلق علیّ یهیئ منزله الجدید و صورهٔ فاطمهٔ بربیعها الخامس عشر ما تزال تطوف فی عینیه، و شعر بأن نبعاً من میاه باردهٔ یتدفّق فی قلبه: نشر أرض الحجرهٔ برمل لیّن، وراح یمسح علیه بکفّه فبدا کبلاطهٔ ناعمهٔ، و ثبّت خشبهٔ بین الجدارین فی أقصی الحجرهٔ لتکون مشجباً للثیاب.. و بسط فوق زاویهٔ من الرمل جلد کبش، زیّنها [صفحه ۳۸] بوسادهٔ من اللیف... و هکذا تم بیت فاطمهٔ بنت محمد. أجال علی بصره فی الحجرهٔ... لا شیء یشد قلب المرأهٔ... لا حریر و لا فراش وثیر.. ولکنه یعرفها جیداً، یعرف بنت النبی. انها لیست سوی نفسه الکریمهٔ التی تأبی سوی حیاهٔ البساطهٔ و الحیاهٔ الخالیهٔ من بهارج الدنیا الزائلهٔ. [صفحه ۳۹]

القسمت ۰۷

قال النبی و هو یناول بلالاً حفنهٔ من الدراهم: - ابتع لفاطمهٔ طیباً. والتفت إلی «أبی‌بکر» و ناوله حفنهٔ اُخری: - ابتع لفاطمهٔ ما یصلحها من ثیاب وأثاث، وخذ معک عمار بن یاسر... وانطلق جمع من صحابهٔ النبی إلی السوق یشترون جهاز فاطمهٔ. کان السوق یزخر بمختلف البضائع... بضائع حملتها النوق من مکان بعید.. کان أبوبکر یجیل بصره فی زوایا السوق و فی قبضته دراهم معدودهٔ... ماذا یمکنه أن یشتری بها... و بعد جولهٔ مضنیهٔ دفعته قلّهٔ ذات الید إلی أن یتخیر بضائع رخیصهٔ الثمن فکانت: قمیصاً بسبعهٔ دراهم، و خمار بأربعهٔ دراهم، قطیفهٔ سوداء خیبریهٔ، سریر مزّمل [صفحه ۴۰] بشریط، فراشان مصریان؛ حشو أحدهما لیف وحشو الآخر من صوف الغنم، أربعهٔ وسائد من الجلد مما یدبغ فی الطائف و قد حشیت بنبات طیب الرائحهٔ... ستائر رقیقهٔ من الصوف، حصیر مصنوع من سعف النخیل، رحی، اناء نحاسی لغسل الثیاب، سقاء من الجلد، جرهٔ خضراء و بعض الآنیهٔ الخزفیهٔ. و حمل الصحابهٔ جهاز فاطمهٔ متوجهین إلی منزل النبی.. راح النبی یقلب بیده آنیهٔ الخزف وعیناه تتفحصان جهاز سیدهٔ نساء الأرض فتمتم بصوت أقرب إلی الحزن: - بارک اللَّه لأهل بیت جل آنیتهم من الخزف. ربما تذکر خدیجهٔ تلک المرأهٔ الثریهٔ التی کانت القوافل التجاریه تحمل ثروتها من بلد إلی بلد وهاهی ابنتها تزف بجهاز من الجلد و الخزف و النحاس.سرعان ما طفت الابتسامهٔ فوق محیاهٔ و هو یری ابنته قادمهٔ، فنهض من مکانه و قبل یدها وراح ینظر إلی وجهها المضیء یستشف من وراءه صورهٔ زوجته الوفیهٔ و ملامح أمه الرؤوم. ارتفع صوت بلال جهوریاً یدعو المؤمنین للصلاهٔ؛ الکلمات تنساب هادئهٔ مؤثرهٔ مفعمهٔ بالحب و الأمل و الحیاهٔ؛ و یشعر النبی بأن نبعاً فیاضاً یتدفق فی صدره و یشیع السلام فی قلبه فنهض ملبیاً داعی اللَّه. [صفحه ۴۱] المسجد مکتظ بالمسلمین، ینتظرون قدوم «الرسول» لیس للصلاهٔ فقط بل لشیءٍ آخر. ان النبأ قد أثار استغراب الکثیر؛ یریدون استکشاف هذا الزواج الفرید. ان فتاهٔ مثل فاطمهٔ کان بإمکانها أن تتزوج ثریاً یفرش دربها بالحریر... صحیح ان ابن أبی‌طالب مثال للفتوهٔ و هو ابن عمّ النبی ولکنه لایملک شیئاً. لقد هاجر حافیاً و ما یزال یعیش حیاهٔ مریرهٔ لایملک شیئاً... ولکن ما بال فاطمهٔ ترضی لنفسها مثل هکذا حیاهٔ.. کان الهمس یدور علی الشفاه. تحلّق المؤمنون حول «النبی» کعادتهم، کفراشات تنظر إلی شمعهٔ تتوهج. أدرک النبی ما یجول فی الخواطر فقال بخشوع: - أتانی حبیبی جبریل فقال: یا محمد زوجها علی بن أبی‌طالب فإن اللَّه قد رضیها له و رضیه لها. وانفض المسلمون و قد ترسخت فی ضمائرهم صورهٔ جدیدهٔ عن

الحیاۀ العائلیۀ عنـدما تنهض علی الایمان وحـده. لقـد اختارت السـماء لعلی فاطمـۀ و اختارت لفاطمـۀ علیّاً، و اسـتجابت فاطمـۀ لإرادۀ السـماء طائعۀ مبتهجۀ ان شیئا فی أعماقها یشدها إلی علی کما شدّ علیاً لفاطمۀ. و بارکت السماء رغبۀ علی واستجابۀ فاطمۀ، و رفرفت الملائکـۀ بأجنحتها مثنی و ثلاث و رباع. [صـفحه ۴۲] وجـد علی فی فاطمـۀ ما کان یبحث عنه فی نفسه، ووجـدت فاطمـۀ فی علی ما کـانت تنشـده فی أعمـاق روحهـا، و کـان اللقـاء علی یـد رسول السـماء إلی الأرض.. إلی المرأۀ والی الرجل، لیکون اتحادهما ولادۀ للإنسان. وهکـذا قـدر لأنیس الطفولۀ أن یکون رفیق درب. کانت فاطمۀ سـعیدۀ بعلی، تری فی عینیه طیف أبیها.. أبیها الذی تحبه لأنه قادم من عنـد اللّه. أحبت فاطمۀ علیاً.. أحبت فکره و خیاله، رأت فیه ظلال محمد... حیث نشأت تحت تلک الظلال... أرادت أن تنتقل من بیت والـدها إلی کنف رجل یشبه والدها فی کلّ شـیء. جلس علی فی بیته. اسـتند إلی الجدار الطینی، و قد غاصت أصابع قدمیه فی الرمـل اللیّن الـذی یغطی أرضـیۀ الحجرۀ... کلّ شـیء فی البیت ینتظر فاطمـۀ... مشـجب الثیاب... المخضب... الرحی.. حتی ذرّات الرمـل. فـاحت رائحـۀ «الاذخر»؛ ملأت فضاء الحجرۀ عطراً... و علی ما یزال یترقب قـدوم فاطمـۀ و قـد مضت ثلاثه أسابیع حسـبها علیّ قروناً طویلۀ. لابد من خطوۀ للقاء، وقفزت فی ذهن «الفتی» صورۀ «حمزۀ»، فنهض من فوره وحث الخطی نحو منزل عمّه. [صفحه ۴۳]

القسمت ۰۸

مرّت أیام و أیام، و علی لایفتأ یذکر فاطمۀ.. یعیش خیالها الشـفاف؛ روحها الطاهرۀ؛ عینیها المضیئتین؛ مشیتها وهی تخطر علی الأرض هونا... قال و هو یحدق فی عینیه: - فی عینیک سؤال. - یا عمّ ذکرت أهلی. - ما تنتظر إذن.. هیا بنا إلی منزل النبی. فی الطریق لاحت لهمـا «اُمأیمن» و قـد أدرکت علی الفور ما یـدور فی خلـد علی فکفتهما مؤونه ذلک. انطلقت «اُمأیمن» و کان النبی فی بیت اُمسـلمۀ. قالت اُمأیمن و قد عرفت کیف تسـتأذن قلب الرسول: - یا رسولاللّه لو أنّ خدیجۀ باقیۀ لقرّت عینها بزفاف فاطمۀ.. [صفحه ۴۴] و إن علیّاً یریـد أهله.. فقر عین فاطمـۀ ببعلهـا و أجمع شـملهما وقِرّ عیوننا بـذلک. قال النبی: - فما بال علی لا یطلبها منی؟ - یمنعه الحیاء یا رسولاللّه... کانت علینا النبیّ تبحثان عن خدیجـۀ... تجمعت فی عینیه الـدموع کغیوم ممطرۀ: - خدیجۀ... وأین مثل خدیجۀ، صدّقتنی حین کذبنی الناس و آزرتنی علی دین اللّه و أعانتنی علیه.. وقفت اُمأیمن تنتظر رسولاللّه: - انطلقی إلی علی فأتینی به. خفت اُمأیمن إلی حیث ینتظر الفتی: - ما وراءک یا اُمأیمن؟ - الخیر کله؛ رسولاللّه یـدعوک. کان علی مطرقاً برأسه یحـدّق فی الأرض، قال النبی مشـجّعاً: - أتحب أن تـدخل علیک زوجک؟ - نعم فـداک أبی و اُمّی. - نعم وکرامـۀ یا أباالحسن اُدخلها علیک فی لیلتنا هذه أو فی لیلۀ [صفحه ۴۵] غـد إنشاءاللّه. نهض الفتی و هو یطیر فرحاً. لقـد حلّت لحظـۀ اللقاء؛ لقاء قلبین طاهرین.. روحین صافیتین... تمایلت سعفات النخیل طرباً.. تألّقت فی السـماء النجوم؛ وظهر القمر یزدهی بهالته.. والسـماء تتطلع إلی عرس فی الأرض. تألقت فاطمـۀ فبدت بین النسوۀ کوکبـاً درّیـاً؛ حتی اذا اسـتوت فوق الناقـۀ، ارتفع صوت الـدفوف، وبـدأ موکب الزفـاف یسـیر الهوینی. فاطمـۀ تحفها بنات عبـدالمطلب و نسـاء المهـاجرین و الأنصـار، أخـذ عمـار بزمام الناقـۀ و کان الرسول و بصـحبته حمزۀ و الرجال یمشون خلفها. وملأت الزغاریـد الفضـاء وانطلق صوت اُمسـلمۀ یشـدو فرحاً: سـرن بعون اللّه جاراتی واشـکرنه فی کل حالات واذکرن ما أنعم رب العلی من کشف مکروه وآفات فقد هدانا بعد کفر و قد انعشنا ربُّ السماوات [صفحه ۴۶] وارتفع صوت حفصۀ: فاطمۀ خیر نساء البشر ومن لها وجه کوجه القمر فضـلک اللّه علی کلِّ الوری بفضل من خصّ بآی الزمر زوّجک اللّه فتیً فاضـلاً أعنی علیاً خیر من فی الحضر فسرن جـاراتی بها أنها کریمـۀ بنت عظیم الخطر فی المسـجد کان اللقاء، أخـذ النبی یـدی فاطمـۀ، و وضـعها فی یـدی علی، و تمتم الرسول بخشوع: - اللهم انهما أحب خلقک إلی، فاحبهما، و انی أعیذهما بک و ذریتهما من الشـیطان الرجیم. شـهد البیت الصـغیر ولاده حبّ عمیق عمق البحر، طـاهراً کقطرات النـدی، متـدفقاً کـالینبوع. لم تعثر فاطمـۀ فی بیتهـا علی فراش وثیر لکنهـا وجـدت قلبـاً دافئـاً ینبض بالحب، و لم تجـد فاطمـۀ فی منزلها الجدیـد جواهر أو لؤلؤاً منثوراً لکنها وجـدت انساناً یموج بقیم تتألق سـموّا و تشع رحمۀ، وجدت فاطمـۀ ما تنشده المرأۀ فی أعماقها... [صـفحه ۴۷] وجـدت کـل ذلک قرب علیّ. و وجـد علی فی فاطمـۀ قبساً من اُمه، فالزهراء تکاد

تـذوب رقـة، وجـد فيهـا رفيق دربه، ففاطمـة شوق و حنين، ووجـد فيهـا الخصب والحياة ففاطمـة كوثر محمـد. طلب علی يـد فاطمـة؛ واطرقت فاطمة، وكان صمتها، و حمرة الحياء تقولان نعم لعلی، و باركت الملائكة لقاء الشطرين ليؤلّفا كياناً جديداً فيه صفات حواء و خصال آدم. وذات صباح جاء النبی زائراً و سأل فتاه: - كيف وجـدت أهلك؟ أجاب علی وعيناه تنطقان ثناءً. - نِعم العون علی طاعة اللّه. و التفت النبی إلی فتـاته: - و كيف وجـدتِ بعلـك؟ فقـالت بكلمـات تقطر حيـاءً و حبّاً: - خير بعـل. رمق النبی السـماء. عَبَرت الأفلاكَ كلماتُه الدافئـة: - اللهم ألّف بين قلبيهما و ارزقهما ذرية طاهرة. و عندما همَّ بالنهوض قال الأب لفتاته: [صـفحه ۴۸] - يا بنية نعم الزوج زوجك... لا تعصـی له أمراً، ثم شد علی يد فتاه و قال بهدوء: - الطف بزوجتك وارفق بها فان فاطمة بضعه منی يؤلمنی ما يؤلمها و يسرّنی ما يسرّها. شـیء ما ولد فی قلب علی تجذّر فی أعماقه، شـیء يشبه العهد... الميثاق ألّا يغضب فاطمة أو يكرهها علی أمر ما إلی الأبد. و فی قلب فاطمة ولد الحب، تفجر نبعه و عند ما يحب المرء ينسی كلّ شیء سوی الطاعة للحبيب. وهكذا عاش علیّ و فاطمة. و تمرّ الأيام. [صفحه ۴۹]

القسمت ۰۹

كانت تشـبه أباها فی كل شـیء، فی حديثها، صمتها، مشيتها، وفی ذلك النور الذی يشع من عينيها، تعمل بصمت أو ترتل سورة مريم تتشـربها.. تتنفس جوهـا و تعيش فی ظلالهـا. رتبت ثيابها و كانت قليلـة مختصـرة. وضـعتها فوق خشـبة كان زوجها قـد ثبتها فی زاوية الحجرة، نشـرت خمارها و قطيفـة سوداء و قميصاً رخيصاً، رتّبت الفراش ثم عمدت إلی كنس البيت. و تصاعد غبار خفيف كان يتألق فی ضوء الشمس. مسحت كنيزان الخزف و أعادت ترتيبها فبدت جميلة. حاولت أن تجر الرحی إلی مكان مناسب. وجدتها متشبثة فی الأرض فتركتها مكانها ريثما يعود زوجها. و من كيس فی زاوية الحجرة استخرجت حفنات من الشعير ثم جلست إلی الرحی. [صفحه ۵۰] دارت الرحی، تساقط الـدقيق تباعاً فجمعته فی اناء صـغير، أضافت قـدحين من الماء وراحت تعجن الخليط حتی اذا تجانس غطت الاناء و تركته ريثما يصـبح خميراً. جلست فاطمة و أشعلت النار فی الموقد، تصاعد دخان أزرق و توهج جمر فسفوری الحمرة، كانت عيـدان الحطب تتكسـر، و كانت فاطمـة تصـغی مستغرقة، سـرت فی أطرافها قشـعريرة و تجمعت فی عينها الـدموع فرمقت السـماء من خلالها و قلبها ينبض أملاً بما وعد اللّه المؤمنين. ملأت رائحة الخبز الحارّ فضاء البيت. عاد علیّ و قد بدا مهموماً بعض الشـیء و عندما وقعت عيناه علی فاطمـة شاعت الابتسامـة فی وجهه. لشـدّ ما يحبها بقوامها النحيل بتلك الروح التی تكاد تغادر أهاب البدن إلی حيث ترفرف الملائكـة. نظر علیّ و هو يتناول قرص الشـعير إلی يـديها. كانت هناك خطوط حمراء فی كفيها أدرك علی الفور انّها من أثر الرحی؛ تمنی أن يكون بوسعه شـراء خادم تعينها علی تدبير المنزل، فكر أن يضاعف جهده فی حفر الآبار، سـيحيل المدينة إلی ينابيع لكی يتسـنی له جمع مبلغ يكفی لشـراء جاريـة تعين سـيدة النساء؛ و ربما حصل علی غنيمـة تغنيه عن كلّ ذلك، كان علی يفكّر و هو يعالـج سـيفه ذیالفقار. لم تسأل فاطمـة زوجها عن المناسبة فی كل هذا الاهتمام [صـفحه ۵۱] بالسـيف فقد سمعت هی الأخری عن اسـتعدادات المسـلمين للتصـدّی لقوافل قريش التجاريـة و سـمعت من بعض نسوة المهاجرين اخباراً عن قافلـة كبيرة يقودها أبوسـفيان تحمل أموالاً طائلة... تذكّرت فاطمة كيف صادر المشركون أموال المهاجرين. تذكرت أيام الحصار فی شِعب أبیطالب و ألوان القهر والظلم الـذی صبه أبوسـفيان و أبوجهل و أبولهب علی الرسول والـذين آمنوا. أفاقت فاطمـة علی صوت زوجها و هو يرتّل بخشوع: - يسألونك عن الشـهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصـدّ عن سبيل اللّه و كفر به، والمسـجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند اللّه، والفتنـة أكبر من القتل. لكأنّ علی يـدرك ما يدور فی خلد فاطمة، وهاهی السـماء تشدّ أزر المظلومين المشـرّدين... تمنحهم سـيوفاً و بيارق ينتصـفون بها ممن قهروهم و شـرّدوا بهم من ديارهم. ودّع النبی ابنته فاطمة. وأدرك المسلمون جميعاً أنّ الرسول قد أعدّ العدّة لاـعتراض قافلـة قريش، وانّه لم يبق له فی المدينـة شـیء. هزّ علی رايـة العقاب بيـده وانطلق بصـحبة النبیّ باتجاه الشـمال حيث «وادی الروحـاء» وسُـمع النبی يقول: - هـذا أفضل أوديـة العرب. [صـفحه ۵۲] عسـكرت قوات المسـلمين و كانت تتألف من ثلاثمئـة مقاتل

يتناوبون على ركوب سبعين من الأبل اضافة إلى فرسين فقط، و بعد استراحة وجيزة، قضاها المسلمون فى الصلاة و التهيؤ لقطع المسافة لآبار «بدر» حيث طريق القوافل التجارية. قسم النبى الأبل على المقاتلين فكان نصيبه مع على و «أبى‌مرشد» بعيراً واحداً يتناوبون ركوبه. قال على وأيده أبومرشد: - نحن نمشى عنك يا رسول‌اللَّه. أجاب النبى و هو يطوى الصحراء ماشياً على قدميه: - ما أنتما بأقوى منى، و لا أنا بأغنى عن الأجر منكما. وفى «الصفراء» بعث النبى دورية استطلاع إلى «بدر». وفى «وادى ذفران» وصلت انباء مثيرة. [صفحه ۵۳]

القسمت ۱۰

مكة يغمرها الظلام؛ والنجوم ترسل ضوءً واهناً... تتبض من بعيد كقلوب مجهدة؛ نامت العيون ما خلا عيوناً حجرية تحيط بالكعبة ما تزال مفتوحة تحدّق ببلاهة و غباء. وفى عالم هلامى كان رجل يركب بعيراً يخطر به حتّى اذا وقف «بالأبطح» صرخ عالياً: - يا آل غدر انفروا إلى مصارعكم! خف البعير براكبه فوق ظهر الكعبة وصرخ: - يا آل غدر انفروا إلى مصارعكم. طار البعير نحو جبال مكة. هبط على قمة «أبى‌قبيس» و صرخ الراكب مرّة اُخرى: - يا آل غدر انفروا إلى مصارعكم. انتزع الراكب صخرة من الجبل ثم قذف بها بيوت مكة.. انفجرت الصخرة فى أسفل الوادى وأضحت حجارة متناثرة تساقطت كشهب [صفحه ۵۴] مجنونة فوق منازل مكة وأفنيتها. استيقظت «عاتكة» امرأة من بنى عبدالمطلب. استيقظت مذعورة تجفف وجهها من حبات العرق، و ما تزال الرؤيا ماثلة أمامها. كانت السماء تنث مطراً خفيفاً كدموع هادئة، وظلت «عاتكة» مستيقظه تحدق فى الظلام حتى اذا طلع الفجر أخذت طريقها إلى منزل «العباس». كغراب أسود يدور البيوت، شاع خبر الرؤيا فى منازل مكة؛ وجثم الوجوم على القلوب. ترى ماذا تخبئ الأيام. وهرع بعضهم إلى أصنام نحتوها يتمسحون بها يلتمسونها الطمأنينة فلا تألوهم إلّا خبالا؛ و قدم بعضهم نذوراً للآلهة، تصاعد دخان لكن دون جدوى؛ القلق ما يزال يلوى القلوب كريح عاصفة. غضب «أبوجهل» برقت عيناه حقداً و هو يصغى إلى تفاصيل الرؤيا و هتف بالعباس متهدداً: - أما كفاكم يا بنى عبدالمطلب أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم!... سنتربص بكم ثلاثه أيام.. فان مضت و لم يكن شيء... فأنتم أكذب بيت فى العرب. ردّ العباس بغضب: - يا مصفراً استه أنت أولى بالكذب منا. مضت ثلاثه أيام؛ كصفحات من كتاب كبير تنطوى وبدت صفحة [صفحه ۵۵] كبيرة من عالم مفتوح و ظهرت مكة، و يثرب و صحراء واسعة مليئة بالرمال و الحوادث، وظهرت خيول وابل ورجال تجوب الأودية. استيقظت مكة مذعورة... صرخات «ضمضم» تبعث الرعب فى القلوب الخطر يهدد الآلهة؛ و آلهة قريش عبادة و تجارة: - يا معشر قريش اللطيمة»... أموالكم مع أبى‌سفيان قد تعرض لها محمد و أصحابه. كان منظره عى بعير مجدوع الأنف، مشقوق القميص إنذاراً بالخطر الداهم. و ثارت الحمية حمية الجاهلية؛ صرخ أبوجهل: - واللات والعزى ما نزل بكم أمرٌ أعظم من أن يطمع بكم محمد و أهل يثرب فانهضوا و لايتخلّف منكم أحد. و تجهزت قريش، اظهرت كل حقدها الدفين تطلب رأس رجل هاجر إلى ربّه. تجمّع الحاقدون فكانوا الفاً إلّا خمسين، و من الابل ثلاثمئة و خمسون ومن الخيل مئتان. وسارت قريش بخيلها و خيلائها بدفوفها وقيانها بخمرتها وآلهتها، سارت تشقّ بطون الأودية. وفى الصحراء كان أبوسفيان يقود القافلة، يسوقها سوقاً حثيثاً، عيناه تدوران فى محجريهما؛ تسعان الآفاق؛ ترصدان الآثار. و بين [صفحه ۵۶] الفينة و الاُخرى كان يتوقف ليدقق فى أثر بعير أو فرس، أو يفتت بعرة يبحث فيها عن أثر لغريم يترصده. ينتظر لحظه الثأر المقدس ولكن لا شيء، الصحراء غامضة غموض البحر و الرمال هى هى بتموجاتها والسماء تزدحم بغيوم رمادية تمر فوق الرمال كسفن تائهة. كانت القافلة تتقدم من آبار بدر، وقد عصف القلق بأبى‌سفيان وأطل الرعب من عينيه يخشى أن يسقط فى قبضة محمّد عدوّه اللدود. سأل أبوسفيان اعرابياً قرب الماء عن خبر محمّد، أجاب الاعرابى: - لم أرَ أثراً لما تقول، ولكنى رأيت رجلين يستقيان فى الصباح. - وأين مناخهما. - هناك فوق ذلك التل. أسرع أبوسفيان إلى حيث أشار الاعرابى. - نعم هذا مناخ إبل... وحانت منه التفاته فرأى بعرة فالتقطها كما يلتقط المرء جوهرة نادرة، فركها بكفيه فظهرت نواة تمر، صرخ أبوسفيان مرعوباً: - هذه واللات علائف يثرب. أسرع أبوسفيان إلى مناخ قافلته فحث رجاله على

اثارتها والاتجاه بها نحو ساحل البحر الأحمر، غادرت القافلة تاركة «بدر» إلى شمالها ممعنة بالفرار، وهكذا أفلت أبوسفيان ولو إلى حين. [صفحه ۵۷]

القسمت ۱۱

هطلت الأمطار... هطلت بغزارة فسالت أودية بقدر، وقف النبى... راح ينظر إلى السماء و السحب تسح ما تسح من دموعها الثقال... رفع يديه إلى عوالم لانهائية و تضرع إلى اللَّه: - اللّهم نصرك الذى وعدت... اللّهم لا تفلتنى أباجهل فرعون هذه الاُمة. كان الوجوم يسيطر على ثلاثمئة رجل. لقد خرجوا لمواجهة قافلة تجارية، وهاهى الأنباء تحمل لهم سيوفاً و خناجر... و هاهى قريش تزحف نحوهم بجيش عرمرم.. ألف رجل إلّا خمسين. هتف النبى بأصحابه: - أشيروا على: القلق يعصف بالرجال و قد ضرب الخوف أطنابه فى بعض القلوب... نهض «عمر» قائلًا: [صفحه ۵۸] - يا رسولاللَّه.. انها قريش!! ما ذلت منذ عزت و ما آمنت منذ كفرت.. راح بعضهم ينظر إلى بعض وأفئدتهم هواء. نهض المقداد وقد امتثلت أمامه قصص بنىاسرائيل: - يا رسولاللَّه! امض لما أمرك، فنحن معك، واللَّه لا نقول كما قال بنو اسرائيل لموسى... اذهب انت و ربّك فقاتلا انّا هاهنا قاعدون، إذهب أنت و ربك فقاتلا انّا معكما مقاتلون». أطل عزم جديد من عيون الرجال وخيم صمت ثقيل، كان النبى ينتظر موقف الأنصار فله معهم يوم العقبة عهد و ميثاق. نهض «سعد بن معاذ» و قال بأدب: - لكأنك تريدنا يا رسولاللَّه: - أجل. انسابت الكلمات قوية أخاذة مؤثرة: - يا رسولاللَّه: لقد آمنا بك و صدقناك و شهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا و مواثيقنا على السمع و الطاعة.. فامض يا رسولاللَّه لما أردت.. فوالذى بعثك بالحقّ، إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد. إن للكلمة فى القلوب أثر البذرة فى الأرض الخصبة سرعان ما [صفحه ۵۹] تنمو و تهب ظلالها و ثمارها... اشاعت كلمات سعد روح الأمل شحذت الهمم بعد خوف وقلق.. طافت فى الوجه السماوى فرحة ورضا وهتف النبى برجاله: - سيروا على بركة اللَّه وابشروا، فإن اللَّه وعدنى احدى الطائفتين، واللَّه لكأنى انظر إلى مصارع القوم. عبّأ النبى قوّاته و غادر «ذفران» وسلك طريق «الاصافر» ثم هبط منها، وبدا «كثيب السحنان» كجبل شامخ. وقاد النبى رجاله الى يمين «الكثيب» حتى اذا اصبح قريباً من مياه بدر أصدر أمراً بالتوقّف ريثما ينجلى الموقف. بعث النبى «علياً» على رأس دورية استطلاع للحصول على معلومات عن قوّات قريش، أوغل على فى المسير و وصل آبار بدر؛ فالماء حيوى لرجال فى الصحراء، وألقت الدورية القبض على رجلين كانا يستقيان و ساقتهما إلى معسكر المسلمين. كان النبى يصلى... مستغرقاً فى رحلة فى عوالم سماوية بعيداً عن ويلات الأرض و ما يجرى فوق كثبان الرمال، ولما عاد إلى الأرض وجد بعض المسلمين ينهالون عليهما ضرباً... تمتم النبى مستنكراً: - إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما؟!! [صفحه ۶۰] ونظر النبى اليهما وهتف: - صدقا واللَّه.. انهما لقريش.. انهما لذات الشوكة. وأردف متسائلًا: - كم القوم؟ - كثيرون. - ما عدّتهم. - لا ندرى. - كم ينحرون؟ - يوماً تسعاً و يوماً عشراً. التفت النبى إلى أصحابه: - القوم ما بين تسعمائة والألف. ثمّ تساءل: - فمن فيهم من أشراف قريش؟ - قال أحدهما: - عتبة بن ربيعة و أخوه شيبة.. النضر بن الحارث، وأضاف الآخر: - و فيهم أمية بن خلف و نبيه بن الحجاج و اخوه منبه و عمرو بن ود.. [صفحه ۶۱] التفت النبى إلى اصحابه و قال بحزن: - هذه مكة قد القت اليكم أفلاذ كبدها. تفجّر فى قلوب المهاجرين غضب مقدس وهاهى رؤوس الشرك تزحف اليهم و قد حان وقت يثأر فيه المظلوم من الظالم. كان بلال منسحباً داخل نفسه و قد تداعت فى أعماقه صور سوداء و كان وجه «اُمية بن خلف» محفوراً فى ذاكرته بقسوة.. ما يزال جسده يئن من سياط أمية و شعر بثقل صخرة رهيبة تجثم فوق صدره فندت عنه آهة ألم: - آه.. اُمية لا نجوت إن نجا. برقت عيناه غضباً و حانت منه التفاته فرأى عماراً، و قد علت وجهه مسحة من وجوم... أدرك بلال ان صاحبه هو الآخر يستعيد حوادث رهيبة. لقد شهد مصرع والديه بحراب «أبى‌جهل» ذلك القرشى المتوحش. أصدر النبى أمره بالتحرك صوب آبار «بدر» حتى اذا وصلوا أدنى المياه نزل النبى و كان «الحباب» و هو رجل رشيد يمسح الأرض بعينين ثاقبتين، اقترب من النبى و قال بأدب: - يا رسولاللَّه! أكان اختيارك للمكان أمراً من

اللّه ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب؟ [صفحه ۶۲] أجاب النبى باهتمام: - بل هو الحرب و المكيدة. - ليس هذا بمنزل يا رسول‌اللّه... انهض بالناس حتى نعسكر أدنى الماء نشرب و لا يشربون. - لقد أشرت بالرأى. و سرعان ما اتخذ المسلمون مواقعهم فى الجهة الشرقية من الوادى الفسيح... حل المساء وغفت العيون تترقب ما يسفر عنه عالم الغد. [صفحه ۶۳]

القسمت ۱۲

أشرق يوم الجمعة و التاريخ يشير إلى السابع عشر من شهر رمضان. عسكرت قوات قريش، فى ثنايا التلال القريبة من وادى بدر، وبدا أبوجهل أفعى رقطاء تتلمظ. هتف ساخراً و هو يشير إلى قلة المسلمين: - ما هم إلا أكلة رأس لو بعثنا اليهم عبيدنا لأخذوهم باليد. تساءل عتبة بن ربيعة: - ربما كان لهم كمين أو مدد. - كلا يا صاحبى لقد بعثت «ابن وهب» وطاف حول مواقعهم فلم يرَ شيئاً. قال شيبة معقباً: - لكنه قال شيئاً آخر غير هذا. امتعض أبوجهل، فتساءل عتبة: [صفحه ۶۴] - وماذا قال؟ - جاء مبهور الأنفاس و نثر كلماته كالنبل: ما رأيت شيئاً ولكنى وجدت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا... نواضح يثرب تحمل الموت الناقع. أطرق عتبة. كان يفكّر فى المصير... ألقى أبوجهل نظرة حانقة و بصق على الأرض ثم غادر المكان. ارتقى عتبة جمله الأحمر و قد دوّت فكرة العودة إلى مكة فى رأسه و أصغت عشرات الرجال إلى ما يقول صاحب الجمل الأحمر: - يا معشر قريش! لن تصنعوا شيئاً بلقاء محمّد وأصحابه. و بين أصحابه رجال من بنى عمومتكم أو أخوالكم.. و هل يقتل المرء ابن عمه أو ابن خاله أو رجلًا من عشيرته.. ارجعوا و خلّوا بين محمد و سائر العرب.. يا معشر قريش أطيعونى اليوم واعصونى الدهر، انّ محمداً له إلٌ و ذمة.. فان يكن صادقاً فأنتم أعلى عيناً به، و ان يكن كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره. جحظت عينا «أبى‌جهل» و خرجت الكلمات من فمه ممزوجة بالبصاق: - انظروا ماذا يفعل الجبن فى النفوس... انظروا إلى سيد من [صفحه ۶۵] سادات قريش و هو يرتعد من سيوف يثرب. وفى أدنى الوادى كان الرسول يراقب عن كثب ما يجرى فى أقصى الوادى... هناك على جمل أحمر رجل يحذر قومه سوء العواقب. تمتم النبى بلهجة يشوبها اليأس: - إن يكن فى أحدهم خير ففى صاحب الجمل الأحمر. اتصلت السماء بالأرض وهبط جبريل كوكب الأرض فى تلك البقعة من دنيا اللّه... و سرت كلمات السماء فى قلب محمد:«فإن جنحوا للسلم فاجنح لها». هتف النبى و جبينه يتلألأ: - يا معشر قريش! ارجعوا من حيث أتيتم فلأن يلى هذا الأمر منى غيركم أحبُّ إلىّ من أن تلوه أنتم. تمتم عتبة و هو يصغى إلى ابن مكة الذى فرّ منذ عامين: - ماردّ هذا قوم ثم افلحوا. تجمعت فى السماء النذر، و بدت السيوف بروقاً مخزونة بالرعود، نزل عتبة عن جمله الأحمر، و تقدم مع أخيه شيبة وابنه الوليد إلى الأرض التى تفصل ما بين الجبهتين و نادى عتبة بصوت غاضب و كان أبوجهل قد استفزّه: [صفحه ۶۶] - يا محمد أخرج الينا أكفاءنا من قريش: التفت النبىّ إلى عبيدة. - قم يا عبيدة بن الحارث. و إلى حمزة بن عبدالمطلب و إلى على بن أبى‌طالب. كانت راية «العقاب» تخفق فى قبضة علىّ فركزها فى الأرض ثم انطلق إلى ميدان الصراع... و تراءى امام عينيه طيف جميل. كان وجه «فاطمة» يبتسم له وقد شعّ من عينيها نورٌ سماوىٌّ. ران الصمت على الجبهتين، ما خلا ستة سيوف كانت تلمع وسط الغبار كبروق غاضبة، فجأة ارتفع السيف «ذوالفقار» ثم هوى فهوت معه جمجمة الوليد، ثم ارتفع مرة اُخرى ليهوى على عتبة ثم على شيبة و تساقطت رؤوس الشرك... تعفّرت بالرمال و كانت العيون جاحظة تنظر برعب إلى شىء ما. كبر النبى و كبر معه المسلمون و انتقل اسم علىّ على الألسن فى الفضاء... وفى التاريخ... وسمع النبى يقول: - والذى نفس محمّد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابراً محتسباً مقبلًا غير مدبر إلّا أدخله اللّه الجنة. و تراءت للذين سمعوا كلمات الرسول جنّات تجرى من تحتها [صفحه ۶۷] الأنهار... فإذا السيوف ظلال لجنّة عرضها السماوات و الأرض. كان سقوط صناديد قريش صرعى فوق الرمال إيذاناً ببدء معركة رهيبة. و بدأت قريش هجوماً عنيفاً و تساقطت السهام و النبال كالمطر... وقف المسلمون صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص، وصمدوا أمام هجمات مدمّرة كعاصفة هوجاء... تصاعد غبار كثيف و تساقط القتلى والجرحى كجراد منتشر. و شيئاً فشيئاً خفّت حدّة الهجوم... وفى هذه اللحظة الحاسمة دوت كلمة القائد العظيم مختصرة و مصيرية: - شدوا. اندفع المسلمون كالسيل و كانت راية العقاب تخفق فى قبضة على

قویة ثابتة؛ و اختلطت أصوات عدیدة بین صهیل الخیل ورغاء الجمال وقعقعة الأسلحة وصیحات الرجال و کانت:«أحَد... أحَد» تتردد فی فضاء المعرکة. و تفجّر غضب مقدس فی القلوب و قد رأی المعذبون جلّادیهم... و غادر النبی مقر القیادة و بقی أبوبکر وحیداً. اندفع النبی یقاتل فی الخطوط الأُولی و ظهرت فی الأُفق سحب بیضاء شفافة... تشبه أجنحة الملائکة و کان النبیّ یهتف بحماس: – سیهزم الجمع و یولّون الدبر، بل الساعة موعدهم والساعة [صفحه ۶۸] أدهی و أمرّ... استمر القتال مریراً... واقتربت المعرکة من نهایتها بعد ان تمزّقت خطوط المشرکین ولاحت فی الأُفق هزیمة و شیکة. هتف النبی غاضباً و هو یقذف حفنة من الحصی: – شاهت الوجوه! انفجرت ساعة الانتقام وقذف برکان الثأر حممه مدوّیة وهتف بلال وهو یرمق جلّاده بغضب: – اُمیّة! رأس الکفر لانجوت إن نجا... حاول بعض المسلمین اعتراض بلال. أرادوا عدوّهم أسیراً فصاح بلال: – یا أنصار اللّه.. إنّه اُمیة رأس الکفر... لانجوت ان نجا... انقض بلال علی جلّاده فهوی کأنما سقط من شاهق... ولأوّل مرّة تنفّس بلال الصعداء وانزاحت عن صدره صخرة قاسیة کانت تجثم فوق اضلاعه فدمعت عیناه وراح ینظر إلی السماء فی امتنان. حاول أبوجهل فی عناد قدیم أن یمنع هزیمة «قریش» و کان یقاتل خلف سیاج من رماح رجاله وفی مقدمتهم ابنه عکرمة... ولکن أنّی لهؤلاء الحفنة من الحمقی الوقوف بوجه ریاح النصر وهی تعصف بعنف من أدنی الوادی... اقتربت هتافات: أحَد.. أحَد... و ماهی إلّا لحظات حتی هوی أبوجهل وارتطم رأسه بالأرض. [صفحه ۶۹] وضع عبداللّه بن مسعود قدمه علی عنق أبی‌جهل الذی رمقه متسائلاً: – لمن الدائرة؟ – للّه ولرسوله وللمؤمنین. کانت قدم ابن مسعود تدقّ عنق أبی‌جهل،فتمتم حانقاً: – لقد ارتقیت مرتقی صعباً یا رویعی الغنم. حاول أن یبصق کعادته فسقط البصاق فوق وجهه وجحظت عیناه. کان هو الآخر ینظر برعب إلی شیء ما. [صفحه ۷۱]

القسمت ۱۳

یثرب تتألق فرحاً وقد عاد النبیّ ورایات النصر تخفق فوق رأسه. کانت سعفات النخیل تتمایل طرباً.. توجّه النبیّ إلی المسجد فصلّی رکعتین... کان المسجد هادئاً والسکینة نبع یترقرق فی جوانبه، نهض النبیّ واتجه صوب منزل فاطمة کعادته... هبت الفتاة لاستقبال أبیها العظیم، و کانت ابتسامة مشرقة تضیء قسمات وجهها الأزهر. طبع الأب قبلة دافئة علی جبین ابنته أودعها کلّ معانی الأبوّة والحبّ.. و وجدت فاطمة نفسها فی أحضان امّها الدافئة... دخلت عائشة و کانت تغار من فاطمة فقالت مستنکرة: – اتقبلها وهی ذات بعل؟ أجاب النبی مداریاً: [صفحه ۷۲] – واللّه لو علمت ودّی لها لازددت لها حباً. أجابت ممتعضة: – أنت لاتفتأ تکرّر ذلک و تذکر امّها العجوز و قد هلکت فی الدهر الأول فأبدلک اللّه خیراً منها. أجاب النبیّ بحزن: – لا واللّه ما أبدلنی خیراً منها... آمنت بی إذ کفر بی الناس، وصدّقتنی إذ کذبنی الناس، وانفقت مالها إذ حرمنی الناس، ورزقنی اللّه منها ذریّة دون النساء. ارتفع صوت عائشة فقالت فاطمة و هی تنسحب بهدوء: – یا أیها الذین آمنوا لا ترفعوا أصواتکم فوق صوت النبی. ردت عائشة و قد احمر وجهها غیظاً: – و اللّه یا بنیّة خدیجة ما ترین إلّا أن لأُمّک علینا فضلاً و أی فضل کان لها علینا؟! ما لهذه المرأة لا تفتأ تذکر امرأة توسدت التراب من ثلاث سنین إلا لأنها ولدت فاطمة؟ و فاطمة فتاة تنم عن سیدة کما ینم البلور عما فیه و قد ولدت سیدة النساء. تدخل النبی غاضباً: – یا حمیراء ان اللّه بارک فی الودود الولود. و أردف و هو یکفکف دمعة شرقت من عینیه: [صفحه ۷۳] – رحم اللّه خدیجة. صرخت عائشة ثائرة: – إنّک تحبّ فاطمة و علیّاً أکثر منی و من أبی. ماذا تقول فاطمة لهذه المرأة. هل تقول لها کیف لا یحب علیّاً و قد رباه فی حجره، فلما اشتد عودة آمن به وفداه بنفسه یوم هاجر، و فی بدر و قد نصر اللّه المسلمین و هم قلة. أتقول لها أن أباک کان مختبئاً فی «العریش» و کان علیّ یقاتل... یقاتل بضراوة فصرع لوحده خمسة و ثلاثین من صنادید قریش من أصل سبعین. ماذا تقول لهذه المرأة التی أفقدتها الغیرة صوابها، ماذا ترید من أبی و زوجی... کانت لوعة تتأجج فی روحها. – لک اللّه یا أبی. و ماذا بوسعها أن تقول... لا لا... لن تقول شیئاً... لن تضیف همّاً جدیداً إلی هموم النبی و قد تألب العرب علیه... لقد تعلّمت فاطمة الصبر... رضعته مع لبن اُمّها.. مرّاً حنظلاً ـ لکنها تعودت مذاقه حتی بات شیئاً مألوفاً. و فی البیت نادت فاطمة أباها: – یا رسول‌اللّه: ولکن، لا جواب.. و

نادت مرة أُخرى يا رسولاللّه. [صفحه ۷۴] كانت كلمات اللّه تترقق فى أعماقها: «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا». هتفت فاطمة: - يا رسولاللّه! التفت الأب العظيم و كان ينتظر منها كلمة أقرب إلى قلبه: - يا فاطمة! انّها لم تنزل فيك.. أنتِ منى و أنا منك... قولى يا أبه، فانها أحيى للقلب و أرضى للرب. سأل على مبتسماً و قد أراد أن يشيع البهجة فى الحجرة: - يا رسولاللّه، أنا أحب اليك أم فاطمة؟ ضحك النبى و قال بود: - أنت عندى أعز منها و هى أحب منك. طافت الابتسامة الوجوه كفراشة تدور بين زهرات ثلاث. التفت النبىّ إلى ذكرى خديجة و قال مستفسراً: - يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس؟ سكتت فاطمة، لاذت بالصمت... لقد اكتشف أبوها اذن انها جاءته لحاجة ثم عادت دون ان تسأله، وهاهو اليوم يسألها وهى تود أن لاتسأله، على أن منظرها يشفّ عمّا بها خاصّة كفيّها فما تزالان تؤلمانها من كثرة ما طحنت بالرحى. [صفحه ۷۵] تدخل على و قد عرف ان فاطمة لن تقول شيئاً: - أنا أخبرك يا رسولاللّه... انّها استقت بالقربة حتى أثرت فى صدرها و جرت بالرحى حتى مجلت يداها و انها تسألك جارية تكون لها عوناً فى ذلك... شعر النبى بالحزن يعتصر قلبه وانبجست من عينيه الدموع و قال بلهجة تنم عن اعتذار عميق لابنته: - يا بضعة محمد، ان فى المسجد اربعمائة رجل ما لهم طعام و لا ثياب.. فتعجلى يا بنتاه مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة... وأقبل النبى على عزيزته يرفدها من روحه العظيمة فقال: - ألا أعلمك ما هو خير لك من الخادم. - أجل يا أبه. - تسبحين اللّه ثلاثاً و ثلاثين مرّة و تحمدين ثلاثاً و ثلاثين مرة و تكبّرين أربعاً و ثلاثين؛ تلك مئة باللسان و ألف حسنة فى الميزان. ابتسمت فتاة الأنبياء. ظهر البِشر فى عينيها العميقتين عمق البحار... وهمست فى نفسها: - طلبنا الدنيا فجاءت لنا الآخرة. و يمرّ عام. تعاقبت فصوله الأربعة و انطوت أيامه ولياليه. [صفحه ۷۷]

القسمت ۱۴

اطلّ شهر رمضان و تألقت لياليه الجميلة... السماء تكتظ بالنجوم... وصفاء لا عهد ليثرب به يسود المدينة، وطافت آيات القرآن بساتين النخيل و الأعناب. فاطمة صائمة، و الهلال الذى بزغ فى سماء يثرب ينمو و يكبر، و جنين فى بطن فاطمة يتحرك يفيض بالحياة... والعيون تترقب كوكباً سيشرق على الدنيا. كبر الهلال أصبح نصف دائرة من فضة... و تدور الليالى حتى إذا أصبح القمر بدراً، بدأت لحظة المخاض. تألق الأمل فى بيت على.. وأطل على الدنيا صبى عليه سيماء محمد. خفّ النبى إلى منزل فاطمة، و البشرى تطوف فوق جبينه. هتف النبىّ بأسماء و كانت عند فاطمة: - هاتى إلى إبنى. [صفحه ۷۸] تقدمت اسماء تحمل طفلاً ملفوفاً بمنديل أصفر. احتضن النبى حفيده وطوح بالمنديل الأصفر بعيداً و قال: - يا أسماء ألم أعهد اليكم ان لا تلفوا المولود بخرقة صفراء... أسرعت اسماء و أحضرت منديلاً أبيض، وبدا الوليد حمامة بيضاء، أو غمامة هبطت من سمائها إلى الأرض. تساءل النبىّ عن اسمه فقال على: - ما كنت لأسبق رسولاللّه. - يا على أنت منى بمنزلة هارون من موسى فسمه باسم ابن هارون. - و ما كان اسمه يا نبىّاللّه. - اسمه شبر. - العرب لا تعرف هذا الاسم. - سمه حسنا. - كانت فاطمة سعيدة و كانت سعادتها انعكاساً لسعادة والدها كما ينعكس النور فى المرايا... كانت فاطمة فرحة لأنها لم تر أباها سعيداً كهذا اليوم، طافت أمام عينيه سعادة قديمة يوم قدمت خديجة طفلته الحبيبة فاطمة... يوم بشّره جبريل بالكوثر. [صفحه ۷۹] مرت سبعة أيام.. أيام ملونة كقوس قزح... حتى اذا أطلّ اليوم السابع... نحر النبى كبشاً وعقّ عن حفيده.. لقد فدت السماء اسماعيل بكبش وهاهو حفيد ابراهيم يفدى الوليد المبارك بكبش أملح.. وأعطى القابلة فخذاً و ديناراً... وضع النبى الوليد فى أحضانه و حلق شعره و تصدق بوزن الشعر فضة. وأدرك الذين رأوا النبى و حفيده و تلك السعادة التى كانت تتدفق فى وجه النبى ان حباً عظيماً قد تفجر فى قلب الرسول و ان لهذا الوليد المبارك شأناً عظيماً. و تدور الأيّام و القلب الصغير ينبض بهدوء كنهرٍ هادئ... استعادت فاطمة نشاطها بل شعرت ان قوّة كامنة قد تولّدت فى روحها.. قوّة تدفعها إلى العمل.. إلى ان تلمس الأشياء فتمنحها اسمها و جمالها. رشت الفناء بالماء.. تناثرت من بين أصابع كفّها حبّات باردة كانت تتألق فى ضوء الشمس.. وامتلأ الفضاء برائحة طيبة تشبه رائحة الأرض المرشوشة بالمطر... رائحة تشد المرء إلى أن يفتح صدره فيستنشق الهواء يملأ

به رئتيه. كان الحسن فى مهده غافياً... وطيف ابتسامة يلوح فوق فمه [صـفحه ۸۰] الدقيق كوردة تتفتح للربيع... ربما كان يحلم بأشياء جميلـة... أشياء أودعها اللّه فى النفس يوم خلق الإنسان. كانت فاطمـة ترنو إلى الوليد الذى صـيّرها امّاً. و قد ولدت فاطمة الاُمّ.. تدفق نبع الاُمومة فى قلبها فياضاً رقيقاً... جلست إلى الرحى و مسـتها فدارت حول قطبها هادئة. و بصوت رخيم راحت بنت النبى ترتل آيات جاء بها جبريل من السـماوات البعيـدة لشد ما تحب فاطمة تلك الفتاة الطاهرة... مريم ابنة عمران... انساب الصوت رقيقاً مؤثّراً كساقية: «وإذ قـالت الملائكـة يـا مريم إن اللّه اصـطفاك وطهرك واصـطفاك على نساء العالمين.. يا مريم اقنتى لربِّك واسـجدى واركعى مع الراكعين... قالت الملائكة يا مريم انّ اللّه يبشـرك بكلمة منه اسـمه المسـيح عيسى بن مريم وجيهاً فى الدنيا و الآخرة و من المقرّبين». رنت فاطمـة نحو وليدها.. حركت مهدهُ بقدمها وراح المهد يتهادى على هون كزورق فى بحيرة رائقة. الرحى تدور بهدوء.. و كلمات السـماء تنساب بخشوع.. و المهـد يتأرجـح برفق.. و تلتقى هـذه الأشـياء لتملأ حياة فاطمـة حيث الزمن نهر تتدافع امواجه فى رحلة نحو البحر الكبير، أو رحى كبيرة تدور حول قطب ثابت لايعرف الدوران. [صفحه ۸۱]

القسمت ۱۵

جلس أبوحفصة يفكّر، والليل و الظلام فلاة واسـعة يبذر المرء فيها ما يشاء و يزرع ما يشاء و يحصد ما يشاء، يطير فى السماء أو يمشى فى الأرض يخرقها أو ينافس الجبال طولاً.. جلس أبوحفصـة وحيـداً وبدا جبينه الواسع براقاً فى ضوء القنديل... كان يفكر فى ماضـيه.. شجرة قصـيرة النسب.. ليس لها جذور فى أرض الجزيرة... فى مكة كان يهرب من نفسه يشـرب الخمر كؤوسا تنسيه ماضيه فيعيش فى بعض خيالاته... أو ربما ثأر من بعض أهل الشـرف، فيتغاضون عنه.. و السـكر عـذر. تـذكر فرحته يوم «أسـلم»... محمد منحه الأمل فى حيـاة لا ـ حسب فيهـا و لا ـ نسب إلّا التقوى ولكن خـابت آمـاله فى المدينـة مـا يزال البعض ينظرون اليه نظرات مسـتفهمة... فكان يزيد التصاقه بالنبىّ. زوّجه ابنته حفصة. أصـبح صهراً لرجل عظيم فى الجزيرة كلّها، [صفحه ۸۲] صادق أبابكر؛ وأبوبكر له منزلة. هاجر مع النبى.. بات معه فى الغار امتدّ به الليل.. وأضـحت النجوم أشدّ لمعاناً.. اشـتعلت فى أعماقه رغبة مجنونة فى الهرب.. تناول جفنة صغيرة فملأها خمرة معتقة و أفرغها فى جوفه. شـعر بأن أعماقه تشـتعل، وزاد وجهه حمرة كجمرة متوقدة فى الظلام.. صب لنفسه جفنة اُخرى و اخرى... اشـتعلت عينـاه.. تراقصت فيهمـا اضواء القنـديل... عوت ذئـاب، و ولـد وحش فى أعماقه. كان الوحش يكبر و يكبر.. يزداد شراسـة. فجأةً هب واقفاً حتى كاد رأسه أن يرتطم بالسـقف... سوف يحطّم بيوت يثرب... اتّجه إلى منزل «ابن عوف» لشدّ ما يكره هذا الرجل.. يفاخر بنسبه يتباهى بذهبه و فضته.. طرق الباب بعنف.. فخرج الرجل و هو يحاول فتح عينيه بصعوبة، التمعت عينا أبى‌حفصة و هو يهوى على رأس ابن عوف بقبضـته، ارتد الرجل مذعوراً و ما لبث أن تهاوى فى عتبة الباب. راح عمر يجتاز البيوت حتى اذا جعلها وراءه و بـدت الصـحراء أمامه بعيـدة و السـماء تكتظ بالنجوم.. تذكر ما جرى قرب آبار بدر... تذكر صـناديد قريش... و هم يسـحبون فوق الرمال ثم يرمى بهم فى القليب، رأى أباجهل جثّة هامـدة.. و رأى اُميـة بن خلف و عتبـة و شـيبة والوليـد. رآهم صـرعى و كانوا يملأون مكة هيبة.. لقد أخذهم الموت [صفحه ۸۳] دون عودة... و خلفوا وراءهم ذهباً و فضة و نساءً جميلات و خلفوا شجرة مجدهم الرفيع. انطلق أبوحفصة يتغنى بشعر الأسود: وكاين بالقليب قليب بدرٍ من القينات والشرب الكرام و كاين بالقليب قليب بدرٍ من السرب المكامـل بالسـنام أيـدعونا ابن كبشـة ان سـنحيا وكيف حياة أصـداء وهام أيعجز أن يردّ الموت عنى و ينشـرنى اذا بليت عظامى سـمع بعضـهم صوت عمر يشقّ صـمت الليـل ففضّ ل السـكوت... رجـل عنيف حادّ الطبع. ولكن «ابن عوف» لم يتحمل كان يشق طريقه فى الظلام إلى منزل النبى.. انه يعرف رسول‌اللّه. سوف يجـده مستيقظاً يعبد اللّه، وربما ينتظر أوبة رجال بعثهم فى الصـحراء يسـتطلعون له أخبـار القبائـل و أخبار قريش فقريش لا تنام على الثأر. طرق ابن عوف الباب وانتظر... اطل النبى بوجهه المضـىء.. رأى [صـفحه ۸۴] صـاحبه ابن عـوف، وخيـط من الـدم يلـون رأسه و قطرات حمراء فـوق ثـوبه. تمتم ابن عوف بشـىء من العتب: – عمر يـا رسول‌اللّه... أدرك النبىّ كـل شـىء... مـا يزال صـاحبه يشـرب الخمرة و يفعـل مـا يحلو له... بان الغضب على وجه النبىّ بعـد ما عرف بأن صاحبه

یتغنی بشعر اعدائه.. يردده كلمة بكلمة و حرفاً بحرف... و الأنكى من ذلك أنّه يحرض المشركين لإطفاء النور الذى توهج فى الجزيرة. و ربّما لأوّل مرّة؛ رأى المسلمون رسول‌اللّه يتميز غضباً.. حتى اذا وقف على رأس صاحبه. هتف أبوحفصة و قد عاد إلى وعيه: – أعوذ باللّه من غضب اللّه و غضب رسوله. كاد الرسول أن يهم به لولا ـ كلمات سمعها هدأت نفسه وكظم غيظه.. يا للإرادة تضع نفسها فوق فوهة بركان ثائر.. وهكذا تعرف الرجال فى مواقف كهذه دونها لهوات الحرب و ظلال السيوف. عاد النبىّ إلى منزله يفكر فى آفة العقول هذه ماذا تفعل بالناس.. هؤلاء الفارّون من ضوء النهار إلى هلوسة الظلام. نهض أبوحفصة يجرجر قدميه عائداً هو الآخر إلى بيته.. وكانت [صفحه ۸۵] العيون تحاصره.. تستنكر هذيانه.. رفع عمر يديه إلى السماء و هتف: – اللّهم بين لنا بياناً شافياً فى الخمر. وفى الصباح سمع أبو حفصة بآية حملها جبريل من قلب السماوات: – إنّما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة و البغضاء فى الخمر و الميسر و يصدّكم عن ذكر اللّه و عن الصلاة فهل انتم منتهون. هتف عمر و هو يحطّم آنية الخمر بعصبية: – نعم انتهينا... نعم انتهينا. سادت المدينة حركة غير عادية و توالت الحوادث.. اليهود يتآمرون خلف حصونهم يحرضون المشركين كافة على غزو المدينة... والنبىّ قلبه على المدينة يخاف عليها الغدر.. و كانت السماء تحرس مدينةً آوت النبىّ... تحميها من دسائس اليهود. [صفحه ۸۷]

القسمت ۱۶

مناحات مكة ما تزال تتصاعد فى فضاء الجزيرة كخيوط الدخان، و قريش تعدّ العدّة للثأر تحد سيوفاً و خناجر، «أبوسفيان» يصرّ على نواجذه غيظاً يحاول أن يفعل المستحيل و قد تحوّلت زوجه إلى أفعى رهيبة فى عينيها يسكن حقد يحيل السلام إلى حرب ضروس و الأخضر إلى رماد و دخان. هند لا تنام الليل. تبحلق فى الظلام كأفعى اسطورية. و أبوسفيان يقود خيلًا و رجالًا، يغير على المدينة فى قلب الليل. يتسلّل كحيّة تسعى. و يجد «ابن مشكم» زعيم بنى النظير ينتظره يدلّه على نقاط الضعف فى المدينة. يعلّمه كيف يقتل محمداً عدوهما المشترك. كان كعب بن الأشرف يصغى بصمت. يراقب سيّده كيف يحوك خيوط العنكبوت و أبوسفيان يتلمظ كحيّة عيناه تستعران كجمرتين و بدت ظلاله على الحائط شيطاناً مريداً. [صفحه ۸۸] قال أبوسفيان وقد أثاره صمت كعب؛ ربما تعجب من حماس اليهود لقتل محمد وهم أهل كتاب: – أقسم عليك بالتوراة؛ ديننا خيرٌ أم دين محمد. انتبه كعب كما لو لسعته عقرب و قال بغيظ: – بل دينكم يا أباسفيان أهدى من دين محمد. قال ابن مشكم بخبث يهودى: – أتراه كاذباً يا أباسفيان؟! ردّ أبوسفيان و قد ملّ: – كيف و قد كنّا ندعوه الصادق الأمين. – فَلِمَ تقاتلونه إذن؟ شعر أبوسفيان بالنار تشتعل فى رأسه: – كنّا و بنوهاشم مثل فرسَى رهان كلما جاءوا بشىء جئنا بمثله.. حتى ظهر محمّد فماذا يبقى لنا. قال كعب و هو يصب الزيت فى النار: – لو اجتمعت قبائل العرب عليه ما وصل الأمر إلى هذا الحد. قوافلكم، هيبتكم و حيت آلهتكم فى خطر، تغدّوا به قبل أن يتعشى بكم. نهض أبوسفيان حانقاً و هتف بعصبية: – لن يطلع القمر حتى تسمع بمناحة فى بيوت يثرب. [صفحه ۸۹] أسرع أبوسفيان وأمعن فى الصحراء إلى حيث يعسكر مئتان من خيله و رجاله. المدينة تغفو هادئة تنتظر الفجر.. تترقب صياح الديكة ليوم جديد تزرع و تبنى و تفجّر الصخر ينابيع... سنابك خيل مجنونة تهزّ الأرض و تثير غباراً امتزج مع غبش الفجر. فى «العريض» من أطراف المدينة شبت النار فى منزلين وفرّت النسوة والأطفال و ذبح رجال.. و احترقت بساتين النخيل وفرّ المغيرون لايلوون على شىء. كان أبوسفيان يراقب متلذذاً منظر النار و هى تلتهم أهداب يثرب. ودّ ان هنداً كانت حاضرة علّها تطفئ غليلها. صراخ الأطفال والنساء يملأ الفضاء المفعم بالسكينة. وتناهت إلى اُذنيه صهيل خيل غاضبة فهمز فرسه تسبق الريح باتجاه مكّة. استيقظت مكة وقد سادتها حمى الحرب وراحت تنفث فى الفضاء روح الثأر... ثلاثة آلاف محارب يلتفون حول أبى‌سفيان، والتفت حول هند أربع عشرة امرأة.. و ثارت الحمية.. حمية الجاهلية. و تصاعد دخان البخور لهبل إله الحرب ليأخذ لهم ثأرهم من محمد. على ضوء سراج واهن بدا «العباس» مهموماً و هو يكتب إلى ابن [صفحه ۹۰] اخيه رسالة يحذّره فيها من حملة وشيكة لقريش. وفى جوف الليل انطلق فارس يسابق الريح و يطوى رمال

الصحارى لا ـ يلوى على شىء. كان النبى فى «قباء» على مبعدة أربع أميال جنوب يثرب... فى تلك الأرض التى وضع قدمه فيها آمناً بعد هجرة مثيرة. وقد جاء ليراقب عن كثب ما تموج به الصحراء من غدر و دسائس... القبائل لا تريد ليثرب السلام؛ تخطب ودّ قريش حيث مكة أم القرى و بيت الآلهة.. و قريش لاتنام على الثأر.. لا شىء فى الأفق البعيد سوى الرمال.. الصمت يهيمن على الأشياء يزيدها رهبةً.. كان أبىّ بن كعب يدقّق فى نقطة سوداء لاحت فى الأفق.. فهتف متسائلاً: – اظنه فارساً يسابق الريح. – اجلّ يبدو انّه قادم من مكة. توقف الفارس بعد أن كبح جماح فرسه بعنف... أثارت الفرس الرمال المتوهجة وقفز الفارس مبهور الأنفاس يحمل فى يمينه رسالة من قلب ينبض بحبّ النبى. لا ـ أحد يعرف مضمون الرسالة التى قرأها ابن كعب على النبىّ.. ولكن الوجوم الذى غمر وجه الرسول يشفّ عن أمرٍ مثير و حادثة ستهزّ الصحراء و التاريخ. [صفحه ۹۱]

القسمت ۱۷

قمر الرابع عشر من شوّال يتألق فى السماء يزدهى بهالته بين النجوم، و قناديل المدينة تتوهج.. ترسل ضوءاً ذهبياً. وبدت الكوى ينابيع تتدفق بالنور. وفى المسجد التف المؤمنون حول الرسول، شباب و شيوخ و كهول يتداولون أمراً هامّاً. قريش تزحف صوب يثرب. قال النبى:– نقيم فى المدينة وندعهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام.. و ان هم دخلوا علينا قاتلناهم. اخرج النفاق رأسه إذ قال ابن سلول و قد صادفت الفكرة هوىً فى نفسه: – نعم يا رسول‌اللَّه... نقيم فى المدينة. ساد الوجوم وجوه الشباب... كانوا يتمنون الحرب فى الصحراء.. [صفحه ۹۲] والحرب فى أزقة المدينة لا يشبع حماسهم... و كيف ينعمون بحرب تشارك فيها النسوة و الأطفال. هتف شاب لم يحضر بدراً يتمناها منذ عام: – ماذا ستتحدث العرب.. جبنا عن اللقاء و قريش تشنّ عينا الغارات. هتف آخر: – اخرج بنا يا رسول‌اللَّه إلى أعداتنا.. حتى لا يزدادوا جرأة. ساد الحماس و بلغ ذروته، وضاع صوت العقل. وعندما ينفلت زمام العاطفة تصبح فرساً جموحاً لا تصغى لأحدٍ و لا يقف فى طريقها شىء. هبّت العاصفة لا يعتورها أحد، وأضحى من الحكمة مماشاتها و توجيهها، والحدّ من عنفها. انتبه بعضهم و قد تأثر لمنظر النبىّ يعدل درعه، عرضوا عليه القبول برأيه و البقاء فى المدينة، فقال بحزم: – ما ينبغى لنبىّ لبس لامته أن يضعها حتى يحكم اللَّه بينه و بين عدوّه. وأردف ليحكم قبضته على العاصفة: – عليكم بتقوى اللَّه و الصبر عند البأس وانظروا ما آمُركم فافعلوا. [صفحه ۹۳] وقفت فاطمة تودّع أباها و بين ذراعيها صبىّ له من العمر شهر، اعتنقه النبىّ.. راح يملأ صدره من شذى عطر له رائحة الجنّة، و همس بحبّ: – انّه ريحانتى من الدنيا.. و اُمّه صدّيقة. ودّع الرسول يثرب، و معه ألف مقاتل، و فى ثنيّة «الوداع» حيث الجادّة التى تؤدى إلى مكة. و عندما وصل «الشيخان» و هما جبلان فى أطراف المدينة قام النبىّ باستعراض لقوّاته فأرجع من الشباب من كان دون الخامسة عشرة... طلع الفجر و وصل النبىّ «الشوط»– بستان بين المدينة و جبل «اُحد».... و ذرّ رأس النفاق قرنه فأعلن تمرّده على الرسول. عاد «بن أبىّ» و عاد معه ذيوله و كانوا ثلاثمئة، فأحدث ذلك شرخاً فى جيش النبىّ و هو على و شك الاشتباك. عسكرت قريش فى وادى «قناة» وانتشرت فى أرض سبخة، قاطعةً الطريق على جيش المسلمين. تساءل النبى عن دليل يمكنه هداية الجيش على طريق يؤدى إلى اُحد لا يمرّ على جيش المشركين. هتف «أبوخيثمة»: [صفحه ۹۴] – انا يا رسول‌اللَّه. – سر على بركة اللَّه. سلك الدليل «حرّة» بنى حارثة و هى أرض ذات حجارة سوداء منخورة كأنها شويت بالنار... كانت المزارع على يمين الجيش المتقدم وقوّات المشركين على شمالهم واتجه الدليل شمالاً نحو جبل اُحد، وقطع وادى «قناة». دخل الجيش الشِّعب المطلّ على الوادى، تاركاً الهضاب والجبل وسفوحه فى ظهره. نظم النبى جنوده صفوفاً فى ثلاثة أنساق و انتخب خمسين من أمهر الرماة، وأمرهم بالمرابطة فوق جبل «عينين» و هو جبل صغير يقع فى الجنوب الغربى من معسكر النبى و على بعد مئة و خمسين متراً من مقرّ القيادة، و كان اجراؤه هذا تحسباً من حركة التفاف يقوم بها المشركون، و كان النبى يعلم ان لدى قريش قوّة كبيرة من الفرسان تحت إمرة «خالد بن الوليد» و كانت هذه القوّة مصدر قلق للنبى. قال النبى لابن جبير قائد الرماة: – انضحوا الخيل بالنبل، لا يأتونا من خلفنا... والتفت إلى بقية الرماة: – احموا لنا ظهورنا لا يأتونا من خلفنا وارشقوهم بالنبل فان [صفحه ۹۵] الخيل لا تقدم على النبل.. إنّا

لا ـ نزال غالبین ما لبثتم مکانکم، اللّهم انی أَشهدک علیهم. و للمرّة الأخیرة أوصاهم النبی. - إن رأیتمونا تتخطفنا الطیر فلا تبرحوا مکانکم حتی أرسل الیکم، و ان رأیتمونا ظهرنا علی القوم و أوطأناهم فلا تبرحوا حتی أرسل الیکم، و ان رأیتمونا غنمنا فلا تشرکونا، و ان رأیتمونا نقتل فلا تغیثونا و لا تدافعوا عنا. نظم النبی قواته واضعاً فی الخط الأول رجالاً أولی بأسٍ شدید بدا فیهم علی و حمزهٔ و أبودجانهٔ و سعد بن الربیع و رجال حملوا أرواحهم فوق الأکف، کما خصّص کتیبهٔ بقیادهٔ المقداد للتنسیق مع الرماهٔ فی صدّ هجوم محتمل قد یقوم به فرسان قریش. تذکر النبی رؤیاه. عادت تتمثل أمامه من جدید.. رأی ابقاراً تسر الناظرین.. رآها تذبح فتشحط دماً عبیطاً ورأی فی حدّ سیفه ثلماً... تجمّعت فی السماء النذر و بدت السیوف بین الغبار بروقاً نزلت إلی الأرض و شدّ أبودجانهٔ حول رأسه عصابهٔ الموت کجرح یفور و أدرک الذین رأوه أن الرجل قد اختار الموت طریقاً إلی الحیاهٔ. الرجل الذی اختارته السماء رسولاً إلی الأرض یبلّغ رسالته: - ما أعلم من عملٍ یقرّبکم إلی اللّه إلّا و قد أمرتکم به، و لا أعلم [صفحه ۹۶] من عملٍ یقربکم إلی النار إلّا و قد نهیتکم عنه، وانه قد نفث الروح الأمین فی روعی انه لن تموت نفس حتی تستوفی رزقها لا ینقص منه شیء.. المؤمن من المؤمن کالرأس من الجسد اذا اشتکی تداعی الیه سائر الجسد. و فی المعسکر الآخر فی أرض سبخهٔ تعالت أصوات الدفوف والطبول تشف عن روح همجیهٔ متعقشهٔ لرؤیهٔ الدماء... تسکر علی صوت طبول الحرب تدق بعنف فیستیقظ الشیطان یعربد و یدمّر. خرجت خمس عشرهٔ امرأهٔ ینشدن أناشید الثأر: و کان صوت هند له نبرهٔ نمرهٔ متوثبهٔ: نحن بنات طارق نمشی علی النمارق الدر فی المخانق والمسک فی المفارق ان تقبلوا نعانق ونفرش النمارق او تدبروا نفارق فراق غیر وامق وحلم رجال بلیالٍ حمراء.. لیال ملیئهٔ بالمتعهٔ. و منوا أنفسهم [صفحه ۹۷] بسبی من یثرب فیهنّ حسان من الأوس أو الخزرج. اتسعت الأحداق وعض الرجال علی النواجذ... و بدأت قریش الهجوم. بدأت قوّهٔ من المشاهٔ تساندها کوکبهٔ من الفرسان بقیادهٔ عکرمهٔ بن أبی‌جهل هجوماً علی میسرهٔ الجیش الاسلامی لتدمیرها، و من ثم النفوذ إلی عمق الشِّعب و ضرب المسلمین من الخلف. قوبل الهجوم العنیف برشقات کثیفهٔ من النبال واعترض المقداد بقوّاته سیل المهاجمین وأرغمهم علی التراجع و من فوق سفوح أُحد تدحرجت الصخور و الحجارهٔ فارتد المهاجمون و تشتتوا.. عاود الفرسان الکرهٔ مرهٔ بعد أُخری ولکن دون جدوی. وفی تلک اللحظات الحساسهٔ أصدر النبی أمره بشن الهجوم المعاکس.. مستهدفاً قلب القوّات المتقهقرهٔ و کان ثقل المعرکهٔ یدور حول «لواء» قریش من أجل اسقاطه و تحطیم الروح الجاهلیهٔ. وسقط اللواء بضربهٔ من علیّ.. ثم ارتفع مرّهٔ أُخری ثم هوی علی الأرض... ثم ارتفع... ثم هوی ممزقاً فوق الأرض... تزلزلت معنویان المشرکین ودبّت فیهم الهزیمهٔ و اطلقت هند ساقیها للریح وسقطت الدفوف و تبعثرت أمنیات زوج أبی‌سفیان وذهبت أدراج الریاح.... وفی غمرهٔ النصر سقط حمرهٔ. اخترق قلبه رمح وحشی.. [صفحه ۹۸] سقطت ثلمهٔ من سیف محمد. وفوق جبل «عینین» کانت هناک معرکهٔ من نوع آخر.. معرکهٔ فی داخل النفوس رهیبهٔ مشتعلهٔ.. أشعلتها الغنائم المبعثرهٔ فی الوادی. وأخیراً وبعد صراع عنیف انتصرت النفوس الامارهٔ بالسوء.. و غادر أکثر الرماهٔ مواقعهم «لا یلوون علی شیء» و (ابن جبیر) یدعوهم.. یذکّرهم بوصایا الرسول. غیر أن النفوس التی أصغت إلی فحیح الشیاطین نسیت همسات السماء. کان خالد بن الولید ینتظر الفرصهٔ و عندما شاهد منظر الرماهٔ و هم یهبطون الجبل التمعت فی عینیه حمی الحرب، فاندفعت الخیول کالعاصفهٔ و عمت الفوضی صفوف الجیش الاسلامی... وفرّ المسلمون لا یلوون علی شیء، و الرسول ینادی: - أنا رسول‌اللّه.. هلموا إلی! وبعد لأی تمکن النبی من تجمیع أکثر قواته و الانسحاب بهم نحو سفح الجبل. صرخ أبوسفیان فی بطن الوادی: - اعل هبل. وجاء صوت الرسول: - اللّه أعلی وأجلّ. [صفحه ۹۹] - لنا العزی و لا عزی لکم. - اللّه مولانا و لا مولی لکم. - یا محمد حنظلهٔ بحنظلهٔ و یوم بیوم بدر و الحرب سجال. أمر النبی علیّاً أن یستطلع قوات قریش فقد تجتاح المدینهٔ: - انظر فإن جنبوا الخیل وامتطوا الإبل فانهم یریدون مکّهٔ.. و ان رکبوا الخیل فانّهم یریدون المدینهٔ.. وأردف النبی و قد برق العزم فی عینیه: - والذی نفسی بیده لئن أرادوا المدینهٔ لأُناجزنّهم. جراح النبی تنزف.. تفور.. لا تعرف التوقّف. بالجراح الأنبیاء حمراء حمراء بلون الشفق، تبشّر بالنهار.. بشمس ساطعهٔ ودفء الربیع. [صفحه ۱۰۱]

القسمت ۱۸

کذئاب مجنونهٔ راح المشرکون یجوسون خلال الجثث الهامدهٔ یمزقون اکباداً و قلوباً کانت تنبض بالحیاهٔ؛ تحلم بعالم جمیل؛ بدنیا آمنهٔ مطمئنهٔ. جثمت «هند» علی جسد حمزهٔ کنسر متوحّش وبدا وجهها الحاد کغراب شره.. کان صوتها یشبه فحیح الأفاعی: – حمزهٔ.. صیاد الأُسود... جثهٔ هامدهٔ.. انهض یا قاتل أبی و أخی: استلت هند خنجراً و بقرت بطن أسد اللّه و أسد رسوله ثم انشبت یدها فی بطنه. کانت المخاطب تبحث عن کبد حری و لما عثرت علیها انتزعتها.. و حمزهٔ ما یزال نائماً یعلو وجهه غبار خفیف. مزّقت الذئبهٔ کبد الإنسان. ترید أن تلوکه.. أن تبتلعه. و علی تلال قریبهٔ کانت نسوهٔ فی المدینهٔ یرقبن المعرکهٔ، و قد [صفحه ۱۰۲] غاظهن فرار المسلمین، صرخت «اُم‌أیمن» وهی تحثو التراب فی وجه «عثمان»: – هاک المغزل فاغزل به وهلم سیفک. أراد عثمان أن یخبرها بمقتل النبی و انه سمع أحدهم یهتف وسط المعرکهٔ: قتلتُ محمداً؛ ولکنه فضل الصمت فأمّ أیمن إمرأهٔ فی رجل. سوف تحثو فی وجهه التراب مرهٔ اُخری. لوی عثمان عنان فرسه وانطلق صوب جبل «الجلعب» فی ناحیهٔ یثرب وتبعه المنهزمون فهو خبیر فی اکتشاف المخابئ و قد یجتاح أبوسفیان المدینهٔ. عاد النبی إلی المدینهٔ ینوء بجراحاته، واخفق علی و هو یغسل جراحه أن یوقف نزف الدماء؛ وکادت «فاطمهٔ» أن تموت و هی تری أباها و الدماء تسیل من وجهه.. تدفقت الدموع غزیرهٔ کسماء ممطرهٔ واستیقظت فی أعماقها کوامن الأمّ تحاول انقاذ ولیدها بأیّ شیء؛ عمدت إلی حصیر فاحرقته، ولما صار رماداً لمت الرماد وراحت ترش جراح النبی. نجح الرماد فی وقف اشتعال النار، أطفأ الجراح بعد أن أخفق الماء. کان علیّ یراقب زوجه تضمد الجراح.. تمسها ببلسم یوقف تدفق [صفحه ۱۰۳] الألم. تأملت فاطمهٔ سیف أبیها وسیف بعلها و قد جللتهما الدماء وأدرکت هول الملحمهٔ التی دارت فی جبل اُحد. قال علی و هو یناولها سیفه: – خذیه فلقد صدقنی الیوم. فقال النبی: – لقد أدی بعلک ما علیه و قتل اللّه بسیفه صنادید قریش حتی نادی جبریل بین السماء و الأرض: لاسیف إلّا ذوالفقار و لا فتی إلا علی. نظرت فاطمهٔ إلی زوجها تشکره بعینین تشعان رحمهٔ... اللّه وحده یعرف الأعماق... وحده الذی یعرف روح هذا الفتی الشجاع الذی حمل روحه علی کفه یفدی رسول‌اللّه و قد غدا کل شیء فی دنیاه، انه لا یعرف للحیاهٔ معنی إلا بمحمد... محمد الذی منحه فی زمن الرعب الطمأنینهٔ والسلام. عاد عثمان و من معه إلی المدینهٔ بعد أن مکث فی الجبل ثلاثهٔ أیام... و قال النبی عندما وقعت عیناه علیهم: – لقد ذهبتم فیها عریضهٔ!! و تمرّ الأیام و تندمل آلاف الجراح و عادت إلی المدینهٔ روح [صفحه ۱۰۴] الأمل... وانطلق المجتمع الجدید یزرع و یبنی و یعمل و یشحذ السیوف... و قد أدرک الذین آمنوا ان طاعهٔ اللّه و الرسول هی الطریق الی النصر... إلی المجد و إلی جنهٔ عرضها السماوات و الأرض. عادت فاطمهٔ تدیر الرحی و تهز المهد و تدیر منزلها الصغیر و تضمد جراح النبی.. تعرف مواقعها فی روحه العمیقهٔ؛ و ربما انطلقت إلی اُحد تبکی حمزهٔ سید الشهداء.. تعرف عمق الجرح الذی أحدثه رحیله فی قلب أبیها. و أطلل عام جدید یحمل معه أفراح النصر و یقدم إلی رسول‌اللّه ریحانهٔ اُخری فی حنایا فاطمهٔ؛ فلقد ولد الحسین وجیهاً فی الدنیا و فی الآخرهٔ و من المقربین. وهمس النبی فی اُذنیه بکلمات السماء و سمعه الکثیر و هو یقبله قائلاً: – حسین منی و أنا من حسین. و کان الحسین قریباً فدبّ کنملهٔ و راح یداعب شعر أخیه و قد غمره فرح طفولی، و تدفق نبعٌ جدید؛ نبع فی اُسرهٔ صغیرهٔ؛ اُسرهٔ أسسها النبی و بارکتها السماء. و تمر الأیام و النبی یشمر عن ساعدیه و یبنی الإنسان... انسان الصحراء.. یروض فی أعماقه الوحش و یضیء فی ظلماته شمعهٔ. [صفحه ۱۰۵] و بدت یثرب فی أرض اللّه الواسعهٔ سراجاً فی مهب إعصار فیه نار أو قارباً صغیراً وسط الأمواج العاتیهٔ، و النبی و الذین آمنوا یقاومون المد الجاهلی و یحبطون مؤامرات یهودیهٔ... و الیهود عجنوا بالغدر و تشربوا تعالیم التلمود... نبذوا التوراهٔ بعیداً الّا ما حرّفوه عن مواضعه، یبنون حصونهم و قلاعهم، وظنوا انهم مانعتهم حصونهم. یخفون وراءها حقداً دفیناً للإنسان تناقلته أجیالهم منذ السبی البابلی و إلی ان یقضی اللّه أمراً کان مفعولا. یباهون الاُمم بموسی بن عمران و قد عشعش قارون فی نفوسهم. ترن فی أعماقهم خشخشهٔ الذهب و الفضهٔ، فتوارثوا عجلاً ـ صنعوه منذُ أن سوّل لهم السامریّ، وظلوا عاکفین علیه حتی اذا نصحهم هارون کادوا ان یفتکوا به، أداروا ظهرهم للذی أنجاهم من البحر و عکفوا علی عجل له خوار. کان موسی غاضباً و هو یلقی الألواح.. و یأخذ بمخانق أخیه. هتف

هـارون: – انهم استضـعفونى و كـادوا يقتلوننى. واتجهت الأبصـار إلى السـامرى. كاد موسـى يبطش به: – فما خطبك يا سامرى؟ – لا شىء.. لقد رأيت أثر الملاك.. وكذلك سولت لى نفسـى. و مضـى السامرى فى التيه... يشد عباءته إلى كتفيه يعتصر وجهه [صفحه ۱۰۶] المخـادع بكفيه... وعواء ذئب جـائع يضـج فى صـدره اللاهـث.. ضاع السامرى بين آثار الجمال و الحمير لايعرف له وطناً سوى تلك البقعة التى خسـفت بقارون و خزائنة الزاخرة بالذهب الأصـفر.. فى أعماقه اُمنيات لعجل جديد يعبده من دون اللّه؛ لا تكفيه بقعة واحـدة. يريـد أن يبتلع سـيناء و أرض كنعـان، و بابل و رمال جزيرة العرب. وحط السامرى رحلـة هنا و هناك من أرض الجزيرة وراح يبنى الحصون والقلاع و ينهب الـذهب، القبائل العربيـة تعبـد أصـناماً من حجارة تنحتها بأيـديها أو أشـجاراً ذات رقاع، وابناء السامرى يعبـدون عجلاً من ذهب يخطف الأبصار، يظلون عليه عاكفين حتى جاء محمـد. توقف التاريخ يحبس أنفاسه عند حصون بنى النضير فقد جاء محمد ومعه جمع من أصحابه يطالبهم بالوفاء وهم جبلوا على الغدر؛ يبتسمون لمن يدعوهم فيكشرون عن أنياب تنزّ صديداً. قـالوا وقـد رأوا النبى عنـد الحصن فى قلـة ودونمـا سـلاح. – نعم يا أباالقاسم نعينك على ما أحببت. وجلس النبى ينتظر الوفاء. وخلف جـدران الحصون والقلاع ولدت مؤامرة. اجتمع ابناء السامرى... العيون تبرق بالغدر: [صـفحه ۱۰۷] – هذه فرصتنا للقضاء على محمد. – أجـل نتغـدى به قبـل أن يتعشـى بنا. – انطلق يا «عزوك» فتحـدث معه و أطل الكلام. – و أنت يا «جحاش» اصـعد فوق الحصن والق عليه (رحى الطـاحون). حـاكت العنـاكب شباكها على عجـل. غير أنّ النبىّ الأمى الـذى يجـدون اسـمه فى التوراة يعرف ما يجول فى خواطرهم فغادر الحصن وجاء المدينة يسعى. و حوصرت حصون السامرى عشرين يوماً حتى تهاوت جميعاً وقتل على «عزوك» ولملم بنو النضـير شبـاك العنكبوت و رحلوا... رحلوا بعيـدا و تنفس النبى والذين آمنوا الصـعداء؛ وتمت كلمة ربك بالحق و قيل بعداً للقوم الظالمين. وعادت يثرب مدينة منورة يكاد سنا نورها يضىء التاريخ. [صفحه ۱۰۹]

القسمت ۱۹

الحياة فى يثرب ينابيع متدفقة، و الأمل ينمو.. يكبر.. غدا شـجرة خضـراء أصـلها ثابت و فرعها فى السـماء، والذين نصروا النبى يعملون دائبين فى زروعهم، يرعون ماشيتهم. والـذين هاجروا وجـدوا لهم متسـعاً من مكان فى الأرض و فى القلوب و غـدا الجميع اُخوة على دين واحد كلهم من آدم و آدم من تراب، والرسول لا يفتأ يؤلّف بين القلوب.. يغسل عنها أدران الجاهلية. على يعمل.. يسقى الزرع أو يفجر الأرض ينابيع، فيحصل لقاء ذلك صاعاً من شـعير أو تميرات من نخيل يثرب. كانت شـمس الأصـيل تغمر مسـجد النبى بأشـعتها الذهبية، ومساقط الضوء تتناثر من بين جريد النخل كدنانير ذهب نثرت فوق عروس. جلس النبى فى قبلته بعد ان انفتل من الصلاة و قد تحلّق حوله [صفحه ۱۱۰] أصـحابه فبـدا كقمر وسط النجوم، والزمن نهر يتدفق... تتدافع قطراته بانتظام...أو رحى كبيرة تدور و تدور، تهب السنين لمن يشاء و من لا يشاء. تفتح عيون الأطفال و تغمض عيوناً متغضنة الأجفان، تشدّ أعواد الشباب و تقوس قامات الكهول، فـالجميع إلى زوال و يبقى وجه اللّه... اللّه وحـده. دخل المسـجد شـيخ عصف به الزمان. نحت وجهه و مزق ثيابه، يـدب على الأرض دبيب نملة تبحث عن رزقها فى يوم بارد. هتف الشـيخ و هو يتطلع إلى النبى كأنما يتطلّع إلى شـمس تهب النور والدفء: – يا نبى اللّه أنا جائع.. عريان.. اشـبعنى واكسـنى. أجاب النبى و قلبه يذوب تأثراً: – ما أجدُ لك شـيئاً.. ولكن الدالّ على الخير كفاعله... انطلق إلى من يحب اللّه و رسوله، و يحبه اللّه و رسوله، يؤثر اللّه على نفسه.. انطلق إلى فاطمـة.. التفت النبى إلى بلال: – قم يا بلال.. فخذه إلى منزل فاطمة. وقف الشـيخ على باب يغضـى إلى عالم من أمل.. عالم يهب الخير للجياع. [صفحه ۱۱۱] هتف الشيخ بصوت واهن ينوء بعبء السـنين: – شـيخ عصف به الـدهر و أضـر به الفقر.. واسـينى يا بنت محمد. نظرت فاطمة حواليها.. لم تجد شـيئاً تسـعف به انساناً ينتظر بأمل. كان هناك فى زاويـة الحجرة جلـد كبش مدبوغ، فطوته و ناولته الشـيخ: – خذه، فعسـى اللّه أن يختار لك ما هو خيرٌ منه. دقّق الشـيخ النظر و تمتم: – و ما أصـنع بجلـد كبش يا بنت محمد! وأصـعب شـىء أن تهب المرأة زينتها... اساور من ذهب أو فضّة أو عقداً من لآلئ البحر، ولكن هناك ما يضىء فى نفس المرأة و يتألق فى أعماقها تألق اللؤلؤ فى الأصداف. انتزعت فاطمة عقداً كان فى

عنقها و ناولته الشیخ الملهوف: – خذه یا شیخ.. عسی اللَّه أن یعوضک به ما هو خیرٌ منه. عاد الشیخ الهوینی إلی المسجد... کان النبی ما یزال جالساً بین أصحابه، قال الشیخ: – یا رسول‌اللَّه أعطتنی فاطمهٔ هذا العقد و قالت بعه عسی اللَّه أن یصنع لک به خیرا. دمعت عینا النبی: [صفحه ۱۱۲] – کیف لا- یصنع اللَّه لک! و قد اعطتک ایّاه سیدهٔ بنات آدم. سأل عمار و کان حاضراً: – بکم تبیع العقد یا شیخ؟ – بشبعهٔ من الخبز و اللحم، و بردهٔ یمانیهٔ استر بها نفسی و اُصلی بها لربی. ملأ الشیخ کفیه دنانیر من ذهب و دراهم من فضهٔ فهتف جذلًا: – ما أسخاک بالمال یا رجل! غاب الشیخ برههٔ ثم عاد و بریق أمل یشع من عینیه، و کلمات الدعاء و تمتمات الثناء تنساب من بین شفتیه فقد أغناه اللَّه بعد فقر و أشبعه بعد جوع و کساه بعد عری. انطلق عمار إلی منزله.. فسکب عطراً غالیاً علی العقد ثم لفه ببرده یمانیه و قال لفتاه و کان اسمه سهم: – انطلق إلی فاطمهٔ و سلمها العقد و أنت لها. و انطلق سهم کسهم یجتاز البیوت حتی اذا وقف علی باب فاطمهٔ: – السلام علیک یا بنت رسول‌اللَّه... العقد وأنا لک یا بنت محمد. – العقد لی و أنت حرٌّ لوجه اللَّه. کاد الفتی یطیر فرحاً.. کان یفکّر بالحریّهٔ.. یحلم بها.. وهاهی [صفحه ۱۱۳] اللحظهٔ التی کاد أن ینساها تتحقق فیدخل الدنیا حرّاً طلیقاً.. انه لن ینسی أبداً فاطمهٔ... السیدهٔ التی أعادت الیه شیئاً غالیاً فقده منذُ زمن. عاد مهرولاً و الفرحهٔ تطفو فوق وجهه جبینه مشرق وفمه کهلال عید الفطر. وجد نفسه یعود إلی عمار، هتف عمار: – ما یضحکک یا سهم؟ – أضحک لبرکه هذا العقد... اشبع جائعاً و کسی عریاناً وأغنی فقیراً واعتق عبداً ثم عاد إلی صاحبه. و عندما أوت الطیور إلی أعشاشها... و عاد المزارعون إلی بیوتهم وساق الرعاهٔ غنیماتهم... فی طریق العودهٔ و قد غابت الشمس... لتتألّق النجوم فی صفحهٔ السماء و یشرق القمر... کانت حکایات السمر تتحدث بقصهٔ عقدٍ مبارک وهبته بنت محمد ثم عاد الیها بعد أن مست برکته جیاعاً و عراهٔ و عبیداً... و هبتهم الخبز و الکساء و الحریّهٔ. [صفحه ۱۱۵]

القسمت ۲۰

مضت خمسهٔ أعوام علی هجرهٔ النبی... والمدینهٔ ما تزال تنعم ببرکات السماء.. تبنی و تزرع و تنتج و تقدم إلی العالم الکلمهٔ الطیبهٔ ولکن قریشاً والیهود یفکرون باجتثاث شجرهٔ غرستها السماء لیعود الناس القهقری إلی زمان لا عودهٔ الیه.. دخل فصل الشتاء.. و ریاح باردهٔ تهب من ناحیهٔ الشمال، الغیوم تتجمع فی السماء.. ثم سرعان ما تتبدد.. تارکهٔ الأرض عطشی و الزروع أیدی متضرعهٔ تنشد المطر، العواصف تشتد یوماً بعد آخر و لا قطرهٔ مطر... وهناک ریاح اُخری.. ریاح جاهلیهٔ تهب من ناحیهٔ الجنوب.. قریش تعد العدهٔ لغزو المدینهٔ.. و السامری الذی حطّ رحلهٔ فی خیبر یخطط لإطفاء النور فی جزیرهٔ العرب. اشتعلت فی القبائل حمی السلب و النهب... و یثرب لقمهٔ دسمهٔ.. و کذلک سول لهم السامریّ.. دقّت طبول الحرب بین مضارب القبائل و سیوف الغدر تشحذ، تومض فی بطون نجد وکنانهٔ و قریش تطرب علی رقصهٔ الحرب و هند تلوک کبد حمزهٔ، و أبوسفیان یحلم بالمجد.. یهتف: اعل هبل. ریاح الشتاء ما تزال تعصف بالمدینهٔ و الغیوم تعبر السماء کسفن تائههٔ، حل شهر رمضان، القی رحله فی الجزیرهٔ غریباً لا یعرفه أحد إلّا فی أرض طیبهٔ.. صامت یثرب للَّه.. امتنع أهلها عن الأکل و الشرب.. وصامت جوارحهم... و المعدهٔ توقفت عن الانبساط و التقلّص.. فانتفض القلب یخفق بقوّهٔ.. واستیقظ العقل من سباته متوتراً. یری ما لا تراه العیون.. و یدرک ما لا تدرکه الأبصار... جاء رمضان یعلّم الإنسان کیف یجوع فینتصر. کیف یظمأ لتولد إرادته.. کیف یهزم الوحش القابع فی داخله لینتصر الإنسان المضطهد فی الأعماق.. رمضان نهرٌ یجری.. تتدافع أمواجه برفق. یغسل القلوب من الدرن.. یعیدها بیضاء بیضاء کحمائم بریّهٔ تطیر فی الفضاء.. خفیفهٔ حرّهٔ تسبح فی ملکوت اللَّه. الریاح الباردهٔ ما تزال تهب من ناحیهٔ الشمال... و الغیوم ما تزال تفرّ مذعورهٔ باتجاه الجنوب... و لا قطرهٔ مطر والعام عام جفاف... والرسول یشد علی بطنه حجر المجاعهٔ، و یصغی إلی انباء تأتی من [صفحه ۱۱۷] ناحیهٔ الصحراء – انهم عشرهٔ آلاف مقاتل.. قبائل غطفان و قریش و کنانهٔ.. و قد نقض «بنوقریظهٔ» العهد و هم داخل المدینهٔ.. ألف خنجر فی خاصرهٔ یثرب. – و هناک أعداء موجودون بیننا لا نعلمهم. اللَّه یعلمهم. – کفانا اللَّه شرّ المنافقین. – یثرب فی خطر. – انهم یزحفون باتجاه المدینهٔ من فوقنا و من أسفل

منّا. – لا ـ تنسوا اللَّه فینساکم.. و اذکروه یـذکرکم و یثبّت أقـدامکم. وفی المسـجد کاد الیأس یعصف بالقلوب المؤمنـهٔ والقلق یزعزع شجرهٔ غرسـها النبی لتؤتی اُکلها کل حین بإذن ربّها. وبعد حیرهٔ و وجوم نهض رجل من أهل فارس.. یلوح بطوق نجاهٔ لیثرب فالطوفان قـادم: – یـا رسول‌اللَّه إنـا کنـا بـأرض فـارس اذا خفنـا العـدو خنـدقنا. فکرهٔ لم تکن العرب لتعرفها. هتف الأنصار: – سـلمان منا. وردّد المهاجرون: – سلمان منّا. [صفحه ۱۱۸] و تنازع الفریقان رجلًا جاب الأرض بحثاً عن رجل یـدعی محمـد. هتف النبیّ و قد رنت الیه العیون: – سـلمان منّا أهل البیت. ریاح الشـتاء تعصف بعنف... و العام جفاف و البطون خاویهٔ.. ولکن الإرادهٔ التی ایقظها رمضان تکاد تلوی التاریـخ... من الشـمال سـتهب عاصـفهٔ الأـحزاب. ضـرب النبی الأـرض بمعول من حدیـد و ببـأس شدیـد؛ وهوت المعاول تفتت الأـرض علی طول خمسـهٔ آلاـف ذراع و عرض تسـعه أذرع و عمق سـبعهٔ أذرع. ومرت الأیام و الریاح ما تزال تهبّ شدیـدهٔ البرودهٔ و الأجساد تذوی لاتجد ما یسدّ رمقها.. ولکن الإرادهٔ کانت تشـتدّ.. تفتت الصـخور و تغوص فی أعماق الأرض، فأسراب الجراد قادمهٔ.. تریـد أن تحیل کل ما هو أخضـر إلی یباب لاشـیء فیه إلّا سـراب یحسـبه الظمآن ماء. جلس النبی لیستریـح قلیلًا... جففـ حبات عرق کانت تتألّق فوق جبینه وبـدا معوله قطعهٔ نادرهٔ أو کنزاً منحته الأرض... شـدّ حجر المجاعهٔ إلی بطنه أکثر.. ثلاثهٔ أیام تمر و هو لا یجد شیئاً یطعمه. لم یـذکره أحـد.. الجوع و البرد و الاعیاء هواجس الصـحراء تنسـی المرء أقرب الأشـیاء الیه ولکن فاطمـهٔ لم تنس الرجل الذی [صفحه ۱۱۹] اختارته السماء رسولاً إلی الأرض المنکوبهٔ. الرجل الذی اکتسبت یثرب مجدها به جائع.. یشد حجر المجاعهٔ إلی بطنه لایجـد شـیئاً یـأکله حتی ذکرته فاطمـهٔ علی حین غفلـهٔ من أهـل یثرب. غابت الشـمس، وفاحت رائحـهٔ الخبز فی فضاء المدینـهٔ و توهجت المواقـد فی البیوت تمنـح الصـائمین الـدفء و الشـبع.. و النبی فی خنـدقه یصـلّی للَّه: – ربِّ انی لما أنزلت إلیَّ من خیرٍ فقیر. وجاءت فاطمهٔ من بعید تحمل الیه قلبها و خبزاً انضـجته قبل قلیل. شاعت البهجهٔ فی وجه النبیّ.. بهجهٔ تشـبه بهجهٔ الحواریین یوم نزلت الیهم مائـدهٔ من السـماء. و فاطمـهٔ حوراء أنسـیهٔ جـاءت تحمـل له الخبز والـدفء والشـبع. تمتم النبی: – واللَّه ما دخل جوفی طعام من ثلاث. عادت فاطمهٔ إلی منزلها... تکفکف دموعها.. تبکی الرجل الذی حمل مشـعل السـماء إلی الأرض یرید له أن یبقی مضیئاً بوجه العاصفهٔ القادمهٔ. [صفحه ۱۲۱]

القسمت ۲۱

انطوت لیالی رمضان وابتسم هلال شوال یحمل للقلوب فرحـهٔ عید الفطر... وامتزجت فرحهٔ العید بفرحهٔ اُخری. لقد أتم الرسول والذین آمنوا حفر خندق امتد خمسهٔ آلاف ذراع وعرض تسـعهٔ أذرع و عمق سـبعهٔ أذرع. تجمع بعضـهم فوق التلال المشـرفهٔ وراحوا ینظرون إلی عمل انجزته الإرادهٔ.. إرادهٔ الإنسان الـذی اضاءت نفسه شـعلهٔ سـماویهٔ. – أیّهٔ قوهٔ أنجزت هذا العمل العظیم؟ – انها قوهٔ الإیمان یا أخی. – أجـل.. المؤمن أقوی من الجبـل. ابتسم هلاـل شوال یعلن نهایـهٔ رحلـهٔ الجوع والظمـأ... وعـاد المؤمنون یحملون معاولهم و قد نفضوا تراب یومٍ حافلٍ بالعمل. عسـکرت جیوش مکّهٔ فی «مجمع الاسیال» بین «الجرف» [صفحه ۱۲۲] و «زغابهٔ».. و عسکرت غطفان ب«ذنب نقمی» فی الجهـهٔ الغربیـهٔ من جبل اُحد... و کان حیّ بن أخطب من سـلالهٔ السامریّ یکید من أجل احتلال یثرب و قتل النبی الأمی الذی یجده مکتوباً فی التوراهٔ... فی أعماقه یتردد خوار عجل.. عجل عبدوه من دون اللَّه. تحطمت أحلام أبی‌سـفیان أمام خندق لم یکن لیخطر علی بـاله یومـاً. تمتم حانقـاً و هو یهمز فرسه بالسوط. – مکیـدهٔ لا تعرفها العرب. – انها من تـدبیر ذلک الفارسـی. – لا یمکن اقتحام الخندق أبداً. – لیس أمامنا سوی ضرب الحصار. حل المساء.. و ریاح الشتاء تهب من ناحیهٔ الشمال.. ریاح تخترق الجلد و تصلّ فی العظم.. جلس أبوسـفیان قبالهٔ النار المشـتعلهٔ والریح تعبث بأطراف الخیمهٔ و کانت ظلاله تتراقص فوق وبر الخیمهٔ کشـیطان مریـد.. تمتم عکرمـهٔ و هو یحاول کسـر الصـمت الجاثم: – انهم بعیـدون عن مرمی النبال. أجاب أبوسـفیان و هو یحدق فی المجمر: [صفحه ۱۲۳] – ابحثوا عن ثغرهٔ لاقتحام الخنـدق فإطالـهٔ أمـد الحصار لیس فی صالحنا. علق عمرو بن العاص: – أنا لا أثق بقریظـهٔ انهم یطلقون أقوالهم جزافاً، و إلّا فأین أفعالهم... ألف مقاتل فی خاصـرهٔ یثرب.. و هم ما یزالون یختبئون خلف حصونهم. قال عکرمهٔ یائساً:

- و لا تنس قبائل غطفان.. انهم يلوحون بالصلح مع محمد مقابل حفنة من التمر. صرخ أبوسفيان هائجاً: - و هل جاءوا إلّا من أجل ذلك... سكت هنيهة و أردف و قد التمعت عيناه ببريق مخيف: - غداً سأحسم الأمر. اطلّ الصباح بارداً برود الموتى، و قد بلغت القلوب الحناجر... كان «العامرى» يجول بفرسه فى «السبخة» بين الخندق و جبل «مسلع».. لقد تمكّن مع قوّة من فرسانه من اقتحام الخندق. أمر النبى مفرزة من قواته بقطع طريق العودة. صرخ الفارس المعلَّم بكبرياء: - هل من مبارز.. [صفحه ۱۲۴] وخيم صمت رهيب و كانت القلوب الخائفة تدق بعنف كطبول الحرب. - هل من مبارز.. ألا من مشتاق إلى جنته؟! وقهقه فرسان كانوا ينظرون اليه باعجاب و نهض علىّ للمرة الثالثة يطلب المواجهة فأذن له الرسول.. و تقدّم فتى الإسلام. رفع النبى يديه إلى السماء.. إلى عالم لا نهائى: - اللّهم انّك أخذت منى عبيدة يوم بدر و حمزة يوم اُحد و هذا علىّ أخى و ابن عمّى فلا تذرنى فرداً و أنت خير الوارثين. ثم تمتم و هو يشيّع عليّاً بنظراته: - برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه. وتقابل فارس و راجل؛ مشرك و مؤمن. - من أنت؟ - على بن أبى‌طالب. - ليبرز إلىَّ غيرك.. انى أكره أن اقتُلك.. لقد كان أبوك صديقاً لى. - لكنى أحبُّ أن اقتلك. قال «ابن ودّ» وقد لاحت له طيوف من بدر يوم التقى الجمعان: - أكره أن أقتل رجلًا كريماً مثلك.. ارجع خيرٌ لك. أجاب علىّ بعزم: [صفحه ۱۲۵] - ان قريشاً تتحدّث عنك انّك تقول: لا يدعونى أحد إلى ثلاث خلال إلّا أخذت واحدة منها. - أجل. - فإنى أدعوك إلى الإسلام. - دع عنك هذه وهات لى غيرها. - ادعوك إلى أن ترجع بمن تبعك من قريش إلى مكة. - اذن تتحدث عنى نساء مكة ان غلاماً خدعنى. - أدعوك إلى القتال راجلًا. اشتعل غضب متأجج فى عينيه، واقتحم عن فرسه... واحتدم الصراع بين سيفين؛ سيف الإسلام و سيف الجاهلية... الإيمان و الكفر... الغضب السماوى و الحمية.. حمية الجاهلية... و كان الرسول يدعو: - اللهم لاتذرنى فرداً و أنت خير الوارثين. وهوى سيف كصاعقة غاضبة... ليسقط رجل اقتحم الخندق على حين غفلة... وعاد على وبشائر نصر عظيم تموج فوق وجهه. هتف عمر مدهوشاً: - هلا سلبته درعه فانه ليس فى العرب درعٌ مثلها. أجاب على وقد أطلّ الإنسان من عينيه: [صفحه ۱۲۶] - استحييت أن أكشف سوأته. وفى حصن «فارع» كان حسّان مع النسوة و الأطفال.. و قد بلغت القلوب الحناجر. كانت رائحة الغدر تتصاعد من حصون بنى‌قريظة. جلست فاطمة قرب صفية تراقبان شوارع المدينة. فجأة، لاح الخطر... عينان يهوديتان تتلصصان ورائحةُ الغدر تزكم الانوف. هتف صفية: - يا حسان هذا يهودى يطوف حول الحصن كما ترى فانزل اليه واقتله.. والّا دلّ علينا. أجاب حسان وهو يبلع ريقه: - غفر اللّه لك يا ابنة عبدالمطلب نهضت صفية و قد أخلد حسان إلى الأرض. شدت وسطها. كانت فاطمة تراقب ملامح لحمزة فى وجهها فى عزمها و الإيمان الذى غمر قلبها. هبطت صفية درجات الحصن وفى قبضتها عمود. ودوّت ضربة هاشمية على رأس «السامرىّ».. و شخصت العينان و بريق الغدر يخبو شيئاً فشيئاً... هتفت صفية: - يا حسان انزل اليه و اسلبه. تشبث حسان بالأرض، وقد ذعر الجرذ القابع فى أعماقه. [صفحه ۱۲۷]

القسمت ۲۲

الخيول تدك بسنابكها الأرض على طول الخندق و قد مضت اسابيع ثلاثة... كان مع النبى ثلاثة آلاف.. ولكن ثلاثة أسابيع من الخوف و الرعب كافية لامتحان إرادة الإنسان... فى المساء و عندما يخيم الظلام تنسل أطياف كالاشباح.. و قد ابتلى المؤمنون و زلزلوا زلزالًا شديداً.. و رفع «ابن قشير» - و كان رجلًا ذا وجهين - عقيرته: - محمّد يعدنا كنوز كسرى و قيصر.. وأحدنا اليوم لايأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط. مضت أسابيع أربعة.. ولا شىء سوى مناوشات بالسهام.. والرياح ما تزال تعصف بشدّة.. تمزّق الخيام و تقلب القدور و تطفى النار.. و لم يبق مع النبى إلا تسعمئة من الذين امتحن اللّه قلوبهم بالتقوى. و فى ليلة سوداء كسواد الكحل مدّ الرسول كفيه إلى السماء ينشد [صفحه ۱۲۸] نصر اللّه: - اللّهم منزل الكتاب، سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم و انصرنا عليم و زلزلهم اللهم ادفع عنّا شرّهم، وانصرنا عليهم، واغلبهم لا يغلبهم غيرك. أضاءت نجمة فى السماء.. و قد غضبت الريح فراحت تعدو مجنونة بين القبائل. قال النبى و قد استدعى «حذيفة»: - اذهب فادخل فى القوم فانظر ماذا يفعلون و لا تحدثن شيئاً حتى تأتينى.

وانطلق «حذیفهٔ» عبر الخندق و تسلل بین خیام مزّقتها ریاح الشتاء.. کان الظلام دامساً وراح یتلمس طریقه إلی خیمهٔ أبیسفیان حیث تحاك خیوط العناکب. دس حذیفهٔ نفسه فی زاویهٔ مظلمهٔ و أخذ مکاناً بین رجلین کانا یحدقان بأبیسفیان. قال صخر بن حرب متوجساً: - یا معشر قریش لیتعرف کل امرئ جلیسه واحذروا الجواسیس والعیون. هتف حذیفهٔ وهو یشدّ علی ید جلیسه: - مَن أنتَ؟ [صفحه ۱۲۹] - معاویهٔ بن أبیسفیان. - وأنت؟ - عمرو بن العاص. خفتت الأصوات و قد بدا حذیفهٔ کأحدهم. قال أبوسفیان: - یا معشر قریش انکم ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الکراع والخف... واخلفتنا بنوقریظهٔ العهد ولقینا من شدّهٔ الریح ما ترون.. ما تطمئن لنا قدر و لا تقوم لنا نار و لا یستمسك لنا بناء فارتحلوا فانی مرتحل. انفجرت السماء بالصواعق.. وهطلت الأمطار غزیرهٔ.. وهبت الریاح شدیدهٔ.. تجتثّ الخیام و تبثّ الرعب فی القلوب... فکر «طلحهٔ بن خویلد» أو لعلّه رای أشباحاً تعبر الخندق فهتف مذعوراً: - انّ محمداً قد عبر الیکم باصحابه... فالنجاهٔ النجاهٔ. تمزقت جیوش الأحزاب؛ مزقتها الریاح و جنود لم یروها حتی اذا أطلّ الصباح کان کلّ شیء هادئاً فی الجانب الآخر من الخندق. وأرسل النبیّ «حذیفهٔ» مستطلعاً فاذا کل شیء یشیر إلی هزیمهٔ ساحقهٔ.. الخیام الممزقهٔ متناثرهٔ هنا و هناك.. و أکوام التبن.. ومواقد منطفئهٔ و قدور منکفئهٔ.. والرماد یغطی الأرض الموحلهٔ، وعاد [صفحه ۱۳۰] «حذیفهٔ» یحمل البشری. وأصدر النبی أمره بالعودهٔ إلی المنازل بعد ثلاثین یوماً من الحصار و الخوف و القلق. و کان بنوقریظهٔ منکمشین فی حصونهم یترقبون بخوف المصیر الذی ینتظرهم... فالغدر یعقبه انتقام. هاهی الأفاعی تلوذ بجحورها و تمدّ ألسنتها متوجسهٔ.. هتف الرسول؛ وقد حانت لحظهٔ الاقتصاص: - مَن کان سامعاً مطیعاً فلا یصلّین العصر إلّا فی بنیقریظهٔ. هزّ النبیّ اللواء ودفعه إلی علیّ: - کُن فی مقدمهٔ الجیش واسبقنا إلی بنیقریظهٔ. وانطلق علیّ واللواء یخفق فوق رأسه حتی اذا دنا من الحصن رکزه فی الأرض بقوهٔ وأیقن الذین مسخوا قردهٔ و خنازیر انها الحرب ولا شیء سواها. وسمع علیّ شتائم تنهال علی النبی الأمّی فهتف بغضب: - السیف بیننا و بینکم. و استمر الحصار عشرین یوماً... و المناوشات بالسهام و النبال مستمرهٔ.. والشتائم تنهال من فوق جدران الحصون فهتف النبیّ: - یا اخوان القردهٔ!.. هل أخزاکم اللّه و أنزل فیکم نقمته. [صفحه ۱۳۱] وشن علی أول هجوم عنیف، فارتفعت رایهٔ بیضاء فوق الحصون.. و کان الاستسلام دون قید أو شرط. وهتف سعد وقد رضی الجمیع حکمه: - آن لسعد أن لا تأخذه فی اللّه لومهٔ لائم. کان سعد یعرف «توراتهم» حیث حرّفوا الکلم عن مواضعه لیسوموا البشر الموت و الفناء... کان یدری ما فی الاصحاح من التثنیهٔ من ریح صفراء لا تبقی و لا تذر «حین تقترب من مدینهٔ لکی تحاربها استدعها إلی الصلح فان أجابتك الی الصلح وفتحت لك فکل الشعب الموجود فیها یکون لك للتسخیر و یستعبد لك و ان لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها واذا دفعها الربّ الهك إلی یدك فاضرب جمیع ذکورها بحدّ السیف، و اما النساء والأطفال و البهائم و کلّ ما فی المدینهٔ غنیمهٔ تفتحها لنفسك و تأکل غنیمهٔ اعدائك التی أعطاك الرب الهك». و أذاقهم سعد حکم التوراهٔ و کانوا أذاقوها الأمم. وهکذا تساقطت رووس الخیانهٔ و الغدر.. و سقط رأس حی بن أخطب مخطط فکرهٔ الغزو والفناء وفر السامریّ إلی «خیبر» لا یفتأ یعبد العجل من دون اللّه. [صفحه ۱۳۳]

القسمت ۲۳

عاد السلام یرفرف فوق المدینهٔ و کلمات السماء تتردد بین سعف النخیل وعروش الأعناب. وعاد علیّ یعمل فی الأرض... یسقی الزرع و یفجر الینابیع یرید للأرض أن ترتدی حلّهٔ خضراء... عاد الأطفال یلعبون فی الأزقهٔ... ضحکاتهم البریئهٔ تتردد فی الفضاء الأزرق. و مرّ النبی فی طریقه إلی المسجد تحفه کوکبهٔ من أصحابه. و رکض الحسن و الحسین و کانا یلعبان مع الأطفال وخف النبیّ لاستقبال ریحانتیه من الدنیا، و البسمهٔ تطوف فوق وجهه... حمل النبی ولدیه... شم الجنهٔ فیهما... استنشق عبیر الریاحین.. و حملهما علی عاتقه.. والتفت إلی اصحابه: [صفحه ۱۳۴] - من أحب هذین الغلامین واُمهما و أباهما فهو معی فی الجنّهٔ. قال عمر مغتبطاً و هو یری أجمل منظر: - نعم الفرس فرسکما. فأجاب النبی مبتسماً: - و نعم الفارسان هما. شمّ المهاجرون رائحهٔ وطن بعید و تلفتت العیون صوب الجنوب و تلفتت القلوب؛ وطافت صور جمیلهٔ لمکهٔ مرابع الصبا و ذکریات الطفولهٔ فاذا الحنین نهر حزین یجری بصمت و الخریف

فصل الوداع يستثير هواجس العودة واللقاء وهاهى ستة أعوام تنطوى و المهاجرون ما يزالون يقاومون عواصف الصحراء و الزمان... يحلمون بالعودة إلى ديار الحبيب... الكعبة بيت ابراهيم و اسماعيل.. و غار حراء فى جبل النور.. و ذكريات الجهاد. وأطل «ذوالقعدة» يوقظ فى النفوس نداء ابراهيم فتنطلق القوافل بين الأودية.. فالقلوب تهوى إلى بقعة مباركة حيث أول بيت وضع للناس. و عمّت الفرحة المدينة... لقد اعلن النبى رغبته فى أداء العمرة و زيارة البيت العتيق.. و انه لا يريد حربا مع أحد. انّه ينشد السلام.. و هل الإسلام يعنى شيئاً سوى السلام. [صفحه ۱۳۵] وطار النبأ فى الجزيرة رايةً بيضاء بياض حمائم فى الفضاء الأزرق. و اجتمع الف واربعمئة ممن تخفق قلوبهم لمكة واداء شعائر الحج... و تقدّم النبى على ناقته «القصواء» زورقاً ينساب فوق امواج الرمال.. و كان «اللواء» يخفق فوق هامة علىّ.. وساق النبى من الهدى سبعين.. و السيوف فى الأغماد، حتى اذا بلغ ذا الحليفة، أحرم فيها ولبّى. ردّدت الصحارى هتافات التوحيد: - لبيك اللّهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. وفى «عسفان» حطّ النبىّ الرحال.. يمدّ يد السلام.. وجاء رجل من أم القرى يسعى: - يا رسول‌اللّه هذه قريش قد سمعت بك، فلبست جلد النمر... وقد اجتمع الرجال و النساء و الأطفال «بذى طوى»... و خيلها الآن فى «كراع الغميم». قال النبى بحزن: - يا ويح قريش.. لقد أكلتهم الحرب. ماذا عليهم لو خلوا بينى و بين العرب.. ما تظنّ قريش.. واللّه لا أزال أجاهد أو تنفرد هذه السالفة. [صفحه ۱۳۶] وكان الرجل يتأمل سوالف النبىّ المتلألئة وقد انفردت عن شعر النبىّ المتموّج تموج الصحارى و هو يكاد يلامس منكبيه. و جلس النبى يفكر.. يفكر فى قوم كذبوه و آذوه.. وألّبوا العرب عليه يريدون أن يطفئوا نور اللّه.. و اللّه متم نوره. قال النبى و قد أحدق به أصحابه: - مَن يدلّنا على طريق غير طريقهم؟ فنهض رجل من أسلم و كان عالماً بخفايا الصحراء وبطون الأودية. وسار ألف و أربعمئة رجل يتقدّمهم آخر الأنبياء و قد هبّت نسائم وطن بعيد. كانت المفازات وعرة كثيرة الحجارة كأنها شظايا بركان انفجر قبل آلاف السنين. حتى اذا وصلوا ارضاً سهلة انعطفوا جهة اليمين حيث الجادة المؤدية إلى «ثنية المراد» مهبط «الحديبية» من أسفل مكة. توقفت القصواء ثم بركت.. و توقّفت الجموع، قال قائل: - حرمت الناقة وأجهدت. فقال النبىّ: لا.. ولكن حبسها الذى حبس الفيل عن مكة.. وأردف و هو ينزل عن «القصواء»: [صفحه ۱۳۷] - و اللّه لا تدعونى قريش إلى خطة تسألنى فيها صلة الرحم إلّا أعطيتهم ايّاها... والتفت إلى الجموع: - انزلوا. قال أحدهم و هو يستعرض الوادى ببصر نافذ: - يا رسول‌اللّه ما بالوادى ماء. أخرج النبىّ سهماً من كنانته و أشار إلى بئرٍ معطّلة. - اغرزه فى جوفه. كانت هالة من النور تغمر رجلًا ارسلته السماء ليحيي الأرض بعد موتها. انفجرت البئر بالماء نميراً فخشع الذين هاجروا والذين قالوا انّا انصار اللّه. [صفحه ۱۳۹]

القسمت ۲۴

كان الجو مشحوناً بالقلق ما بين «الحديبية» و مكة. قريش لا تذعن للحقّ و لا تصيخ السمع لصوت العقل، فتفتح أبواب مكة لقوافل الحجيج. و بعث النبى «عثمان» فله قرابة بأبى‌سفيان. - اخبر قريش أنّا لم نأت لقتال أحد، وانّما جئنا زوّاراً للبيت، معظمين لحرمته و معنا الهدى ننحره و ننصرف. و مضى عثمان إلى مكة و لم يعد.. مضت ثلاثة أيام.. اختفت فيها أخباره، وسمعوا شائعات عن مصرعه مع عشرة من المهاجرين دفعهم الشوق إلى زيارة أهليهم. عندها وقف النبىّ تحت ظلّ شجرة فى الوادى أسند جذعه إلى جذعها.. وأحدق أصحابه و هم يعاهدون على الموت من أجله... و باركت السماء عهد المؤمنين.. و قد رضى اللّه عنهم. الجو يزداد تأزّماً و لما يعد عثمان بعد... [صفحه ۱۴۰] وجاءت رسل السلام.. وقد أدركت قريش أن الخطر قاب قوسين أو أدنى. جاء «سهيل» يعرض على النبى شروط قريش: - أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين عشر سنين. - أن يردّ محمّد من يأتيه من قريش مسلماً و لا تلتزم قريش بردّ من يأتيها من عند محمّد. - أن يعود محمد و أصحابه هذا العام دون عمرة و أن يأتوا فى العام القادم. - من أراد الدخول فى عهد قريش فله ذلك و من أراد الدخول فى عهد محمّد جاز له ذلك. كان النبىّ يصغى إلى عرض قريش يلقيه «ابن عمرو» وقد بدا بعض الصحابة ممتعضاً وكاد عمر أن ينفجر بعد ان سمع النبى يستدعى عليّاً: - اكتب يا علىّ: بسم اللّه الرحمن الرحيم. اعترض سهيل: - لا

أعرف هذا.. اكتب باسمك اللّهم. استأنف النبى: - اكتب ذلك واكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول‌اللَّه سهيل [صفحه ۱۴۱] بن عمرو. قال سهيل: - لو شهدت انك رسول‌اللَّه لم اقاتلك.. ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. أطل الحزن من عينى الرسول: - واللَّه انى رسول‌اللَّه وان كذبتمونى... اكتب يا على محمد بن عبداللَّه وامح رسول‌اللَّه. رفع على رأسه وقد شعر بالغضب يتفجر فى صدره. - ان قلبى لا ـ يطاوعنى... و اللَّه لا ـ أمحوها. تناول النبى الصحيفهٔ و محاها.. واستأنف على يثبت بنود السلام. و نهض الوفد عائداً إلى مكهٔ... لم يتمالك «عمر» اعصابه فتقدم من النبى بطوله الفارع و عيناه تبرقان بغضبٍ عارم: - ألست نبى اللَّه حقّاً؟ أجاب النبى بهدوء: - بلى. - أليس قتلانا فى الجنهٔ و قتلاهم فى النار؟ [صفحه ۱۴۲] - بلى يا عمر. هتف عمر وقد اهتزت دعائم الإيمان فى قلبه: - فَلِمَ نعطى الدنيهٔ فى ديننا اذن؟! أجاب النبى و هو يحاول إعادهٔ الطمأنينهٔ إلى قلبه: - انى رسول‌اللَّه ولست أعصيه وهو ناصرى. قال عمر بحدهٔ: - أو لست كنت تحدثنا انّا سنأتى البيت فنطوف به؟ أجاب محمد بصبر الأنبياء: - بلى يا عمر... أفأخبرتك انك تأتيه عامك هذا؟ أجاب عمر مخذولاً: - لا. - فانك آتيه و مطوف به. وظلّ «عمر» هائجاً لم تفلح كلمات الرسول فى إعادهٔ السلام إلى نفسه. هرع الرجل الفارع إلى صاحبه وقال بعصبية: - يا أبابكر أليس هو برسول‌اللَّه؟ - نعم. - اولسنا بالمسلمين؟ [صفحه ۱۴۳] - أجل يا عمر. - أوليسوا بالمشركين؟ - ماذا تعنى؟ - فعلام نعطى الدنيهٔ فى ديننا؟ نظر أبوبكر إلى صاحبه بأسف و أدرك ان صرح الإيمان يهتزّ فى أعماقه بشدّهٔ، تمتم أبوبكر: - يابن الخطّاب انه رسول‌اللَّه ولن يعصى ربّه ولن يضيعه. عمر ما يزال ثائراً يبحث عن شىء.. عن شخص يطفئ به النار التى تستعر فى صدره... و قد حانت اللحظهٔ المناسبهٔ لنسف السلام مع قريش. تمكن «أبوجندل» بن سهيل من الافلات من قبضهٔ قريش، وجاء ينوء بالسلاسل والقيود. كان منظره يدعو إلى الشفقهٔ، اعترضه أبوه و كان قد أمضى عهداً مع النبى. هتف الشاب المثقل بالحديد والقهر: - يا رسول‌اللَّه.. يا معشر المسلمين. والتفت سهيل إلى النبى. - يا محمد بيننا و بينك العهد. [صفحه ۱۴۴] - صدقت. هتف أبوجندل: - يا للمسلمين أأردّ إلى المشركين ليفتنونى عن دينى. المسلمون ينظرون إلى أخ لهم لا يملكون له ضرّاً و لا ـ نفعاً. هتف النبىّ يشدّ على يده من بعيد: - اصبر يا أباجندل و احتسب سيجعل لك اللَّه ولمن معك فرجاً و مخرجاً. لم يتمالك عمر كعادته فخف إلى ابن سهيل.. اقترب منه هامساً: - إنما هم مشركون و دم أحدهم دم كلب. اقترب عمر أكثر و كشف للشاب مقبض السيف و كرّر قائلاً: - المشرك دمه كدم الكلب. أدرك الشاب ان عمر يغريه بقتل أبيه فاكتفى بنظرهٔ طويلهٔ إلى عمر و لم يقل شيئاً. كانت كلمات النبى ما تزال تتردد فى أُذنيه و فى قلبه ثم كيف له أن يقتل أباه؟ بل كيف للمسلم أن يغدر أو يفتك و يخون العهد الذى ابرم قبل لحظات.. و هل ستسكت قريش على قتل رجل كان يفاوض باسمها و يدافع عن آلهتها؟ كانت الأفكار تصطرع فى رأسه كخيول فى معركهٔ.. و هو [صفحه ۱۴۵] يجرجر خطى واهنهٔ عائداً مع أبيه. وانطوى نهار ذلك اليوم، وقد هبت نسائم السلام فوق رمال الجزيرهٔ... وفى المساء و عندما كانت النجوم تنبض فى السماء كقلوب حالمهٔ هبط جبريل يحمل بين جناحيه سورهٔ «الفتح». وانساب نهر سماوىّ و الرسول يتلو: - إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً. وانبعث صوت فى الظلام: - وأين هذا الفتح و قد صدّونا عن البيت؟ أجاب النبىّ: - بل هو أعظم الفتح.. لقد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم و ان يرغبوا اليكم فى الأمان. وردّكم سالمين مأجورين فهو أعظم الفتح. هتف المسلمون: - صدقت يا رسول‌اللَّه. و مضت أيام على السلام وثاب عمر إلى رشدهٔ فتمتم آسفاً: - ما شككت منذ اسلمت إلّا ذلك اليوم. [صفحه ۱۴۷]

القسمت ۲۵

عاد رسول‌اللَّه إلى المدينهٔ، والفرحهٔ تملأ صدره بفتح اللَّه، فقد أمن جانب قريش و آن للدين الجديد أن يعبر شبه الجزيرهٔ إلى العالم كله. توجه النبى كعادته إلى المسجد فصلّى ركعتين، غسلت عنه عناء السفر وهموم الحياهٔ، و نهض النبىّ لزيارهٔ ابنته.. ذكراه من خديجهٔ وكوثره الذى وهبه اللَّه... قرع الباب فهبت فاطمهٔ للقاء النبى، كانت تحاول إخفاء ما تعانيه من إعياء و تعب. فتحت الباب و البسمهٔ تشرق فى وجهها، تأمّل النبى وجه ابنته الوجه المشرق تشوبه صفرهٔ فبدا كقمر انهكه السهر فى ليلهٔ شتائيهٔ طويلهٔ. قال الأب

بحزن: [صفحه ۱۴۸] – یا بنیـة ما هذا الصـفار فی وجهک و تغیر حدقتیک؟ أجابت فاطمة بصوت واهن: – یا أبه ان لنا ثلاثاً ما طعمنا طعاماً... وقـد بکی الحسـنان من شـدة الجوع حـتی غلبهمـا النـوم.. أیقـظ النـبی ریحـانتیه.. وضـعهما فی حجرة وقـد نسـیا ألم الجـوع کعصـفورین فرحین بدفء العش. کان علی یبحث عمن یقرضه دریهمات یسدُّ بها رمق اسـرته، و کانت الشمس ترسل أشعتها ملتهبة. لم تمض مدّة حتی وجد من یقرضه دیناراً فانطلق یشتری به شیئاً. المدینة تبدو مهجورة و قد فرّ أهلها من الرمضاء و الحر. من بعید لاح له رجل یمشـی علی غیر هـدی.. دقّق النظر فیه و لما اقترب منه بادره علیّ: – ما الـذی أخرجک یا مقـداد فی هذه الساعة؟ – الجوع یا أباالحسن.. عضـنی وأهلی الجوع.. وأبحث عمّن یقرضنی درهماً أو دیناراً. ان للجوع فعله العجیب فی النفوس.. تارة یهذبها فتسمو إلی السماء و تارة ینحطّ بها إلی أسفل السافلین. الجوع یصنع ملائکة و شیاطین.. وکلا الخیارین یتوقّفان علی إرادة الإنسان أو علی غریزة [صفحه ۱۴۹] ذلـک الحیوان القـابع فی الأعمـاق المظلمـة ولیس فی حیـاة علی من وقت لکی تنشب معرکـة بین الـذات و الایثار لأنّه لایوجـد فی أعمـاقه المضـیئة من یعترض علی إرادته التی صـقلتها النبوّات.. وهکـذا قـدم علی کل ما یملکه إلی أخیه وعاد إلی البیت خالی الیـدین. کان المنزل هادئاً تغمرة رحمة من السـماء و وجد فی الحجرة رسول‌اللّه.. و کان الحسـنان فی حجرة و فاطمة تصـلّی فی المحراب وقـد ملأـت فضـاء الحجرة رائحـة طیبـة لطعام طیب ولما جلس علی قبالـة رجل ربّاه فی حجرة تمتم النبی و هو یرمق السـماء بخشوع: – اللهم هؤلاء أهل بیتی فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهیرا. فرغت فاطمة من تبتلها و مدت یدها إلی جفنة مغطاة.. و کان فی الجفنـة خبز و لحم. قال علی متعجباً: – یا فاطمـة أنّی لک هذا؟ أجابت فاطمة بنت رسول السـماء: – هو من عند اللّه.. ان اللّه یرزق من یشاء بغیر حساب. قال النبی مبتسـماً: – إن مثلکما کمثل زکریا إذ دخل علی مریم فوجـد عنـدها رزقاً [صـفحه ۱۵۰] قال: یا مریم أنی لـک هـذا قالت هو من عنـد اللّه ان اللّه یرزق من یشاء بغیر حساب. لو اُزیحت الحجب عن العیون لرأی سکّان المدینـة منزلاً إلی جوار المسـجد.. ولو دققوا النظر لرأوا أثر جبریل فی حجراته. یلـج المرء فیجد نفسه فی بقعة لا تنتمی إلی طین الأرض... إلی عالم من تراب... بقعة اختارتها الملائکة یوم هبطت علی الأرض.. یوم اتصل النور بالطین لیولد الإنسان السماوی الذی انطوت فی أعماقه أسرار الوجود. کانوا خمسـة: محمد.. علی.. فاطمة.. حسن و حسـین... اسـماء ولدت یوم عطس آدم... واسـتنشق نسـمة الحیاة، و یوم قال اللّه لنوح: ان اصـنع الفلک بوحینا.. و یوم فار التنوّر کان نوح یتأمّل السماء و هی تنهمر مطراً کأفواه القرب وجبال من الغیوم تتراکم بعضها فـوق بعض.. ولتتحول تلـک الأـرض الجرداء إلی بحر متلاـطم الأـمواج و سـارت السـفینة بـاسم اللّه تشقّ طریقهـا فی موج کالجبـال.. ومقدمـة السـفینة تعلو و تهبـط مالهـا من قرار. أصوات الحیوانـات وهـدیر الموج و تمتمـات دعـاء المؤمنین تمـتزج تطهر القلب فیتـألق الأمل.. الأمل بمسـتقبل طاهر للأرض. السـفینة تجری لمسـتقر لها.. وقد اجتمع المؤمنون أمام خشبة صغیرة مستطیلة الشکل فیها اسماء أثارت دهشـتهم و حرکت [صفحه ۱۵۱] کوامن الأسـئلة فی أعماقهم.. کلمات صـغیرة واضـحة مکتوبة بلغة شعب عاش قبل الطوفان؛ کلمـات تحمل لهم الأمل بالخلاص بغصن زیتون أخضـر... کلمات تتألّق بألوان قزح.. کلمات حفرها نوح تعویـذة أمل فی الحیاة: – یا إلهی.. و یا معینی. برحمتک و کرمک ساعـدنی. ولأجل هـذه النفوس المقدّسـة. محمـد. ایلیا. شبر. شبیر. فاطمـة. الـذین هم جمیعهم عظماء و مکرمون. العالم قائم لأجلهم. ساعدنی لأجل أسـمائهم. أنت فقط تسـتطیع أن توجهنی نحو الطریق المسـتقیم. و تمخر السفینة عبـاب المیـاه حتی اسـتوت علی الجودی و قیل یا أرض ابلعی ماءک و یا سـماء اقلعی... و عادت حمامـة بیضاء تحمل [صـفحه ۱۵۲] غصن الزیتون.. و قـد تـألقت فی السـماء ألوان الأمل و الربیع. و همس النبی فی اُذن التاریـخ و هو یضم ریحانتیه: – مَثَلُ أهل بیتی مثل سفینة نوح من رکبها نجا ومَن تخلّف عنها غرق. [صفحه ۱۵۳]

القسمت ۲۶

الصحراء مدّ البصر... صحراء ملیئة بالرمال.. تموج بالأسرار.. والغدر.. و خشخشة الأشواک تبوح باسرار اللیل. آثار مشبوهة فوق الرمال الممتـدة بین حصون «خیبر» و مضارب «غطفان»، و عیون تبرق فی الظلام.. ورائحـة مؤامرات تـدبر فی الخفاء. فرسان «محمد» یجوبون

الصحراء يترصدون الذين كفروا انّهم لا- أيمان لهم... الآثار الغريبة فوق الرمال و الرجال الملثمون و العيون التى تبرق فى الظلام و خشخشة الأشواك فى الليل و أصوات كفحيح الأفاعى... ما بين حصون «السامرى» و مضارب غطفان عناكب «خيبر». تحوك شباكها.. و «غطفان» تكشّر عن أنياب ملوّثة بالصديد... و تسامع أهل البادية عن عجل يخور فى حصون وسط الرمال. [صفحه ۱۵۴] واهتزت راية العقاب فى قبضة على، وغادر آخر الأنبياء المدينة فى ألف و ستمئة محارب. ولكى يفوّت الفرصة على العقل اليهودى الذى جبل على الغدر فقد تحتم على قوّات المسلمين أن تقطع المسافة بأقصى سرعة.. لم تمرّ ثلاثة أيام حتى وصل النبىّ بجيشه مشارف خيبر... و كان الظلام يغمر الأشياء يحيطها بالغموض و الأسرار... و بدت الحصون فى رهبة الظلام كائنات خرافية رابضة فوق الأرض. قبل أن يطلع الفجر كان المسلمون يحيطون بخيبر من كل الجهات و قد استكملوا احتلال بساتين النخيل المحيطة. «العجل السامرىّ» يتطلّع إلى أوثان «غطفان» «التبر» يستنجد «الحجر» «العجل» يطلق خواراً عالياً.. و «الأوثان» حجارة صمّاء لا تفقه شيئاً مما يدور. طلع الفجر، و اخرجت الأفاعى رؤوسها، صرخ أحدهم مأخذواً بهول المفاجأة: - محمد و الخميس! كان اسم «محمد» يخلع قلوبهم.. لا يتحملون سماع هذا الاسم.. كما كانوا يتميزون غيظاً لدى ذكر «جبريل» لو كان غير جبريل يحمل رسالة السماء إلى ابن مكة لكان لهم موقف آخر... [صفحه ۱۵۵] قال النبىّ مستبشراً وهو يراقب ذعر الأفاعى: - اللّه أكبر! خربت خيبر... انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. الصحراء تراقب معركة و شيكة.. معركة مدمرة سيكون لها شأن. ووقف التاريخ يصغى إلى ما يدور بصمت. اجتاح المسلمون المناطق المشجرة ما بين الحصون... ووقفت جدران «النطاة» و «الصعب» و «ناعم» و «الشق» و «القموص» و «الوطيح» و «سلالم» ثابتة فى وجه الهجوم و دار قتال رهيب فى الشوارع. سقط خمسون جريحاً من المسلمين.. صمد اليهود قاتلوا بضراوة.. على خيبر ألّا تسقط... لأن سقوطها يعنى أن يعود السامرى إلى التيه مرّة اُخرى.. سوف يشدّ عباءته و يرحل إلى سيناء ينقب فى آثار القوافل المسافرة لعلّه يعثر على أثر «الرسول» فيأخذ قبضة اُخرى. استشهد محمد بن مسلمة؛ ترصده يهودى من فوق الحصن ثم دفع عليه الرحى فسقطت عليه. الحصون منيعة واقفة كالجبال... والأمل قطرات من ندى تبخرت لدى شروق الشمس و «السامرى» ينظر باستعلاء و شماتة إلى نبىّ [صفحه ۱۵۶] العرب. نشر الظلام ستائره... و اشتعلت مواقد فى قلب الليل... و النسائم تداعب سعفات النخيل.. والأفاعى تخرج رؤوسها تحاول أن تصغى لما يدور حول المواقد. أطرق أبوبكر برأسه و تمتم آسفاً: - حصون مستعصية منيعة و اليهود مسلّحون بسلاح حسن... و «القموص» حصن لا يفتح.. أرأيتم الخندق حوله.. ارجو ألّا يكون رسولاللّه غاضباً منى. أجاب عمر: - ليس الذنب ذنبك يا صاحبى.. أنا أيضاً لم استطع ان أفعل شيئاً لقد قضيت النهار كلّه نهجم و يهجمون ولكن إخوان القردة يخرجون الينا من خلف الأشجار كالشياطين. علق «أبوعبيدة»: - اسمعتم ما قال رسولاللّه. - و هل ينسى قوله. - كلماته ما تزال ترنّ فى اُذنى: لأُعطينَ الراية غداً رجلاً يحبُّ اللّه رسوله و يحبُّه اللّه و رسوله. - ترى مَن سيكون صاحب الراية. [صفحه ۱۵۷] - الأمر واضح.. انّه علىّ. - ولكن عليّاً أرمد!! - ربما سلّم الراية إلىّ. - ماذا تقول يا أباحفص؟. - فى الصباح يعرف القوم السرى. كانت النجوم تومض من بعيد.. نام البعض و ظلّ البعض ساهراً يحلم براية حبّ أزلية. ونام أبوحفص بعد أن عزم على أن يكون غداً أقرب الناس إلى النبى علّه يسلّمه الراية التى أصبحت حلمه تلك الليلة. [صفحه ۱۵۹]

القسمت ۲۷

طلع الفجر و تنفس الصباح.. و زقزقت العصافير فى أعشاشها.. واستيقظت الكائنات لتبدأ يوماً جديداً... رماد الفجر يتبدد شيئاً فشيئاً.. وزرقه السماء الفيروزية تصبح شفّافة رائعة... و قد بزغت الشمس.. تألّقت خلف ذرى النخيل. بدت الحصون ذلك الصباح كابوساً يجثم فوق الصدور. صخرة تحطّمت فوقها المعاول... تحلّق المسلمون حول النبى.. يتطلّعون إلى رجل يحب اللّه و رسوله و يحبه اللّه و رسوله... و هتف النبى: - أين على؟ وتقدم فتى فى الثلاثين أو يزيد فاستلم راية العقاب وراح يصغى إلى صوت سماوى: [صفحه ۱۶۰] - انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فان لم يستجيبوا فقاتلهم.. انطلق فتح اللّه عليك. كان على علىّ

أن یقود نفس القوهٔ التی هزمت مرتین... فقد عادت مرّهٔ تلوم أبابکر و أبوبکر یلومها.. و عادت تحت رایهٔ عمر تجبنه و یجبنها... هرول علی لیبث الحماس فی جنوده فبدا بحلّته الارجوانیهٔ جمرهٔ متألّقهٔ... و عند ما صار قریباً من «القموص» نزع درعه لیکون أکثر قدرهٔ فی الحرکهٔ، و أمر جنوده أن یفعلوا ذلک. رفض الیهود ساخرین دعوهٔ الإسلام ونداء السلام. و کان خیار الحرب هو الطریق لإحراق العجل. کان منظر علیّ بلا درع قد حرّک شهوهٔ الغدر و الانتقام فی نفوسهم... فراح شجعانهم یخرجون مدججین بالسلاح.. و کانوا یتساقطون الواحد تلو الآخر عند قدمیه. الذین کانوا یراقبون الصراع.. أدرکوا أن هناک سرّاً فی انتصار علیّ.. رأوا بأُمّ أعینهم کیف هزم الحدید أمام قلب المؤمن.. وهبط «مرحب» درجات الحصن.. کتلهٔ هائلهٔ من الحدید والبأس.. فی قبضته حربهٔ ذات ثلاث رؤوس کأفعی اسطوریهٔ.. تقدم «مرحب» ینقل خطاه المثقلهٔ بالزرد و الحدید.. لیس هناک فی کلّ [صفحه ۱۶۱] جسده الفارع ثغرهٔ یمکن للسیف أن ینفذ فیها. وتوقع المسلمون والیهود.. توقعوا جمیعاً نهایهٔ علی.. تقدّمت کتلهٔ الحدید.. ووجه مرحب حربته برؤوسها الثلاثهٔ.. وکادت أن تنفذ فی صدر علیّ. ارتدّ علیّ إلی الوراء ثم قفز فی الهواء لیهوی بضربهٔ هائلهٔ أودعها غضب السماء... تحطّم الحدید. مرّت لحظهٔ صمت قبل أن ترتطم کتلهٔ هائلهٔ بالأرض محدثهٔ دوّیاً تتخلع له القلوب المذعورهٔ. وقد قتل داوود جالوت، واندفع علیّ بعد أن حطّم الغرور الیهودی إلی باب الحصن... لینتزعه وسط دهشهٔ الجمیع، وأصبح جسراً فوق الخندق یندفّق عبره المهاجمون.. و سرعان ما سقط «القموص» و «الوطیح» و «السلالم» و سقطت خیبر کلها.. اطلق العجل صرخهٔ استغاثهٔ قبل أن یحترق.. و تذرو الریح رماده فی الصحراء، و کان السامریون قد أقسموا قالوا: - لن نبرح علیه عاکفین حتی یرجع الینا موسی. و قال لهم اللّه: کونوا قردهٔ خاسئین. طارت الفرحهٔ للنبیّ فراشهًٔ ترفرف... علی یصنع الفرح لمحمد... وها هو أخوه جعفر یعود من أرض الحبشهٔ... عاد یمخر البحر الأحمر و یطوی رمال الصحاری و معه الذین آمنوا... الذین اخرجوا من [صفحه ۱۶۲] دیارهم بغیر حقّ إلّا أن قالوا ربنا اللّه. وعانق النبیّ أخاً لعلیّ وابناً لحامی آخر النبوّات فی التاریخ، هتف النبی و ینابیع الفرح تتدفق من عینیه: - ما أدری بأیهما أشدّ سروراً. بقدوم جعفر أم بفتح خیبر. و قال أبوحفص لما رأی اسماء: - هذه البحریهٔ، هذه الحبشیهٔ. و التفت الیها قائلاً: - لقد سبقناکم فی الهجرهٔ... فنحن أحقّ برسول‌اللّه منکم. برکان غضب ینفجر فی أعماق امرأهٔ هاجرت مرّتین... أعلنت اضرابها عن الطعام حتی تری رسول السماء... - یا رسول‌اللّه ان ابن الخطاب یقول نحن أحقّ برسول‌اللّه سبقناکم بالهجرهٔ. قال النبیّ: - فما کان جوابک له؟ قالت أسماء: - قلت له: کلّا واللّه کنتم مع رسول‌اللّه یطعم جائعکم و یعظ جاهلکم.. و کنا فی أرض البغضاء بالحبشهٔ. - أجل واللّه.. انه لیس بأحقّ بی منکم.. له و لأصحابه هجرهٔ [صفحه ۱۶۳] ولکم أهل السفینهٔ هجرتان. غادرت الأفاعی جحورها... محطمهٔ الأنیاب.. وعاد السلام یرفرف فوق الأرض... وشدّ السامری الرحال. التفّ بعباءته میمماً وجهه نحو أرض التیه. مادت «فدک» بأهلها... لقد جاء «محمد» تحمله الملائکهٔ تخفق فوق رأسه أجنحهٔ جبریل. وجاء رجل من تلک النواحی یسعی: - یا محمد لکم الأرض.. ولنا السلام. - ولکم نصف ثمار الأرض.. والسلام. و لما قال اللّه:«وآت ذا القربی حقّه». أعلن النبیّ: - إنّ فدکاً لفاطمهٔ. ومن ذلک الیوم أضحت «فدک» رمزاً لانتصار الإنسان علی نفسه.. هزیمهٔ «الاسخریوطی» و احتراق «العجل». و ستبقی فدک رمزاً للأمانهٔ التی أبت السماوات و الأرض أن یحملنها و حملها الإنسان. و کانت فدک رمزاً لخلافهٔ الإنسان علی الأرض.. ستکبر «فدک» و سیکون لها وجود فی الجغرافیهٔ و فی التاریخ.. [صفحه ۱۶۴] سوف تستوعب عدن، سمرقند أفریقیا، سیف البحر مما یلی الجزر و أرمینیا و سوف تکبر لتشمل التاریخ البشری بأسره. لقد وهب اللّه مریم کلمته فی المسیح و أعطی فاطمهٔ فدکاً. وأراد الیهود بعیسی کیداً.. و أرادوا أن یصلبوه فرفعه اللّه إلیه. وفدک ماذا سیحلّ بها یا تری... کیف سیتصرف «الوثن» العربی القابع فی الأعماق المظلمهٔ.. [صفحه ۱۶۵]

القسمت ۲۸

حان وقت الوفاء بالنذر... فلقد نهض الحسنان من فراش المرض.. وعادت إلی وجهیهما دماء العافیهٔ، السماء تنتظر نذراً نذره الإنسان.. نذراً یقدمه إلی نفسه لیکون قریباً من عوالم مغمورهٔ بالنور. لا شیء فی منزل فاطمهٔ. انطلق علی إلی «شمعون» رجل من خیبر؛ رجل

شهـد انهیار حصون ملیئة بالسلاح.. بالذهب.. بالذکاء أمام رجل لا یملک سوی سیف وقلب تنطوی فی حنایاه النجوم. و ها هو الیوم یأتی یطلب شیئاً عجیباً. انه یرید قرضاً.. ثلاثة أصواع من شعیر.. الرجل الذی اقتلع باب «القموص» و قهر خیبر.. جاء یطلب حفنة من شعیر... و امرأته بنت محمد... تملک أرض «فدک». تمتم شمعون و قد هزّته المفاجأة: – هذا هو الزهد الذی أخبرنا به موسی بن عمران فی التوراة! [صفحه ۱۶۶] طحنت فاطمة صاعاً.. الرحی تدور و «فضة» فتاة تعیش فی منزل فاطمة.. تجمع الدقیق.. صار الدقیق عجیناً.. ثم خمسة أقراص لکل صائم قرص شعیر. النجم المهیب یهوی باتجاه المغیب.. یرسل أشعة الوداع یعلن عن نهایة یوم من حیاة الإنسان و الأرض. الأسرة الصائمة تتهیأ للافطار.. لقمة خبز تقیم أود الجسد الآدمی لیکمل رحلته باتجاه النور. هتف انسان جائع: – مسکین! اطعمونی أطعمکم اللّه. الصائم فی لحظة الافطار یدرک آلام الجوع عندما تتلوی المعدة خاویة تبحث عن شیء تمضغه و إلّا مضغت نفسها. قدم الصائمون خبزهم.. وأفطروا علی الماء.. و استأنفوا رحلة الجوع.. والجوع زاد المسافر فی ملکوت السماء... حیث تلال النور وبحیرات تزخر بالنجوم... الجوع یلجم الشیطان القابع فی الظلمات... یسحقه فاذا هو خائر کثور محطّم القرون. ومرّ یوم آخر و الصائمون فی رحلة إلی اکتشاف ینابیع الحب الأزلی... و کلّ شیء آیل إلی الزوال إلّا الحبّ... و الحبّ نداء اللّه إلی النفوس البیضاء. ومرّ یتیم... یالوعة الیتم فی ساعة الغروب. الکائنات تعود إلی [صفحه ۱۶۷] أوکارها و الطیور إلی أعشاشها والأطفال إلی أحضان زاخرة بالدفء. وفی ساعة الغروب تتجمع الدموع فی عیون الیتامی کسماوات مشحونة بالمطر... یتجمّع البکاء فی القلب.. و المرارة فی النفس.. فکیف اذا اجتمعت مع الجوع... و هل تتحمل نفوس الأطفال البرد و الجوع.. نادی الیتیم فی لحظة الغروب الحزین: – أطعمونی... مما أطعمکم اللّه. هناک فی أعماق النفوس البیضاء کنوز من اللّذة أین منها لذائذ البطن... فکیف مع نفوس براها الجوع والنذر حتی عادت شفافة کالضیاء ساطعة کالنور.. لبی الصائمون نداء الیتیم.. فباتوا لیلتهم یطوون رحلة مضنیة تکاد تمزّق الجسد و تحیله إلی حطام.. حیث یشهد عالم الإنسان اللانهائی انتصار الملائکة و هزیمة الشیطان.. إلی الأبد. السماء تراقب نفوساً فی الأرض تطوی مسافات الجوع وفاءً لنذرها. وفی الیوم الثالث مرّ أسیر ینشد لقمة خبز أو تمیرات. الأجساد ترتعش أمام أمواج الجوع.. العیون غائمة... والوجود یغمره ضباب و دخان و ریاحین النبوات تهتز.. تذبل أو تکاد، و النفوس تشتدّ نصوعاً والورود تضوّعاً. [صفحه ۱۶۸] فاطمة تزداد نحولاً ـ غارت عیناها.. وصوتها زاد وهناً علی وهن وهی قائمة تصلّی فی المحراب.. وفی منزل آخر الأنبیاء هبط جبریل یحمل هدیة السماء... سورة الإنسان و انها: – بسم اللّه الرحمن الرحیم. هل أتی علی الإنسان حینٌ من الدهر لم یکن شیئاً مذکورا. انا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتلیه فجعلناه سمیعاً بصیراً. انا هدیناه السبیل امّا شاکراً و امّا کفورا. انّا اعتدنا للکافرین سلاسل و اغلالاً و سعیرا. إنّ الأبرار یشربون من کأسٍ کان مزاجها کافورا. عیناً یشرب بها عباد اللّه یفجّرونها تفجیرا. یوفون بالنذر و یخافون یوماً کان شرّه مستطیرا. و یطعمون الطعام علی حبّه مسکیناً و یتیماً و أسیرا. انّما نطعمکم لوجه اللّه لا نرید منکم جزاءً و لا شکورا. انّا نخاف من ربّنا یوماً عبوساً قمطریرا. فوقاهم اللّه شرّ ذلک الیوم ولقاهم نضرةً و سرورا. وجزاهم بما صبروا جنّة وحریرا... انّ هذا کان لکم جزاءً و کان سعیکم مشکورا. [صفحه ۱۶۹] ورأت فاطمة فی تلک اللیلة ما لا عین رأت وسمعت ما لا أذن سمعت و لم یخطر علی قلب بشر. رأت اشجاراً خضراء خضراء مدّت عروقها فی کثبان من المسک و کانت الأنهار الصافیة المتألقة تتکسّر امواجها عند جذوع الأشجار.. و نسائم تمرّ تلامس الأغصان فتصطفق الأوراق بصوت حالم.. وقد بدت کبائس اللؤلؤ الرطب فی ذری الأغصان... و تبدت الثمار فی غلف الأکمام... و قصور الزبرجد متناثرة هنا و هناک کالأحجار الملوّنة. ینابیع السلسبیل تتدفق... و أطفال کاللؤلؤ یحملون کؤوس الفضة ملأی بالعسل المصفی... یتألقون فی الظلال و فی الضیاء... فی ربیع دائم.. لا فیه شمس و لا زمهریر. سادة القصور یرتدون ثیاباً من سندس أخضر و من استبرق.. فی أیدیهم کؤوس طافحة یستمتعون باحتساء شراب الزنجبیل. الوجوه طافحة بالسعادة الأبدیة.. وجوهٌ نظرة.. نحتها النسیم الربیعی المشبع بشذی الورود والأزهار الخالدة. رأت فاطمة کلّ ذلک. ساحت بین تلال المسک و قصور الزبرجد.. غرقت فی بحیرات السعادة... کادت تذوب شوقاً فهناک اللّه.. و ما أحلی أن یجاور الإنسان مبدأ الانسان، و قد تحرّر تماماً من ویلات الأرض. [صفحه ۱۷۱]

القسمت ۲۹

مضـی التاریـخ یجوس خلال الرمـال.. ینظر بدهشـهٔ إلی أرض أرادهـا اللّه أن تکون نحلـهٔ لبنت رسوله، مضـی التاریـخ یجوس خلال الرمال.. ثلاث سـنین سویّا یشعل الحوادث هنا وهناك... وقعت «مؤته» و قد قتل «جعفر».. قطعت یداه فأبدله اللّه جناحین یطیر بهما فی الجنّهٔ. فتحت مکّهٔ.. تهاوت الأصنام و الأوثان صارت أنقاضاً.. وقد دخل حفید ابراهیم المعبد یحطم بفأس جدّه وجوه الآلههٔ... وعادت حمائم السلام إلی وادٍ غیر ذی زرع. وتوقّف التاریخ فی وادی حنین... یوم اعجبت المسلمین کثرتهم فلم تغن عنهم شیئاً ثم أنزل اللّه سکینته علی رسوله و علی المؤمنین. دارت رحی فاطمهٔ و دار الزمن دورته و مرّ عام فإذا رسول‌اللّه یتحدّی دولهٔ الروم و جیوش هرقل. [صفحه ۱۷۲] القبائل العربیـهٔ ترسل وفودها إلی المدینـهٔ وقد فاءت إلی دین اللّه.. و رأی الناس وهم یدخلون فی دین اللّه أفواجاً. وقد أسـلم کعب فأعطاه نبی اللّه «البردهٔ»، و أسلم باذان بن ساسان فی الیمن. وجاء جبریل یحمل سورهٔ «براءهٔ»، و أذان من اللّه و رسوله إلی الناس یوم الحـج الأکبر انّ اللّه بریءٌ من المشـرکین و رسولُه. ودوّت کلمات علیّ فی الکعبـهٔ وما حولها: - لا یـدخل الجنّهٔ کافر، و لا یحجّ بعد العام مشـرك ولا یطوف بالبیت عریان. ثم فرضت السـماء الزکاهٔ حتی لاتکون الأرض دولهٔ بین الأثریاء... و یضیع الفقراء. و بنی المنافقون مسـجداً هو مسـجد ضـرار.. و ان المساجد للّه... و ما کان للّه یبقی... و ما کان لغیر اللّه یذهب هباءً منثوراً... أرسل النبیّ من یشعل النار فی مسجد لم یؤسس علی التقوی فالتهمته ألسنهٔ النار و ولی المنافقون الأدبار... و لاذوا بالفرار.. و ذرّت الریح «ضرار».. رماداً و غبارا. ودارت رحی فاطمـهٔ و دار عام.. وجاء وفـد من نصاری نجران.. جاء یجادل فی طبیعهٔ المسـیح وفی مریم؛ جاءوا یقولون انّ عیسـی [صفحه ۱۷۳] ابن اللّه. وقـد قـال اللّه: - انّ مَثَل عیسـی عنـد اللّه کمثـل آدم خلقه من تراب ثم قـال له کن فیکـون.. - من تراب؟!! - کلمته القاهـا إلی مریم. - بـل ابن اللّه. - یا أهل الکتاب تعالوا إلی کلمـهٔ سواء بیننا و بینکم ألّا نعبـد إلّا اللّه و لا نشـرك به شیئـاً و لا یتخـذ بعضـنا بعضاً أرباباً من دون اللّه. - لا نـدع الربّ یسوع و قـد صُلِب من أجلنا؛ من أجل الإنسان الخاطیء. - تعالوا نـدع ابناءنـا و أبناءکم و نساءنا و نساءکم و أنفسـنا و أنفسـکم ثم نبتهل فنجعل لعنـهٔ اللّه علی الکاذبین. کان «العاقب» یراقب موکباً عجیباً... رجـل یحمـل فی روحه ملامـح المسـیح.. یمسك بیـده الیمنی صبیّاً فی السابعـهٔ و فی الیسـری صبیاً فی السادسـهٔ و معه شابّ یکاد أن یکون له ظلّاً و خلفهم فتـاهٔ تشبـه مریم. نصـاری نجران فی حیرهٔ و رأی العـاقب فی السـماء دخانـاً... و تلك الوجوه الخمسـهٔ تتألّق فی الضوء... و الفضاء مشـحون بالغضب و اللعنهٔ [صـفحه ۱۷۴] قـاب قوسـین أو أدنی... تأثرت القلوب و دمعت العیون خشـیهٔ للّه... و مدّ العـاقب إلی النبیّ یـد السـلام، فقال النبیّ: - لنجران جوار اللّه و ذمـهٔ محمـد رسول‌اللّه. وعاد أهل نجران إلی دیارهم.. و تمرّ الأیّام.. و ینطلق رسول السـماء إلی حـجّ بیت اللّه... و اختـارت السـماء «غـدیر خمّ» فی طریق العودهٔ و هبـط جبریل: - یا أیّها الرسول بلّغ ما اُنزل الیـك من ربِّك و ان لم تفعـل فمـا بلّغت رسـالته. - والنـاس؟ - اللّه یعصـمك من الناس. الرمال تشـتعل لهیباً لا یطاق. و توقف النبی فتوقف معه مئهٔ ألف أو یزیدون، و علامات اسـتفهام ترتسم علی الوجوه و توقّف التاریخ یصـغی لما یقول آخر الأنبیاء: - ألستُ أولی بـالمؤمنین من أنفسـهم؟ - بلی یـا رسول‌اللّه. - مَن کنتُ مولاـه فهـذا علیٌّ مولاـه... أیّها الناس ستردون علیَّ الحوض و أنا سائلکم عن الثقلین. [صفحه ۱۷۵] - و ما الثقلان یا نبیّ اللّه؟ - کتاب اللّه و عترتی أهل بیتی. و مضی التاریخ لا یلوی علی شیء... و عادت قوافل الحج الأکبر تستأنف رحلهٔ العودهٔ إلی الدیار وقد دخل الناس فی دین اللّه أفواجاً وهبط جبریل یتلو علی الرسول آخر آیات السماء.. - الیوم أکملت لکم دینکم و أتممتُ علیکم نعمتی و رضیتُ لکم الإسـلام دینا. و شعر النبی ان مهمته فی الأرض قد انتهت و آن له أن یستریح ولکن... [صفحه ۱۷۷]

القسمت ۳۰

کـانت فاطمـهٔ تقرأ القرآن.. فی یـدها مصـحف.. فجأهٔ سـقط المصـحف علی الأرض... ثم حلّق فی السـماء یخترق الغیوم.. و یتیه بین

النجوم.. ورأت فاطمهٔ نفسها تطير وراءه.. تريد اللحاق... و كان القرآن ينادى: - هلمى إلىّ.. هلمى إلى السماء. و نظرت فاطمهٔ وراءها فرأت الأرض زيتونهٔ مشحونهٔ بالبرق و بالرعود. هبّت فاطمهٔ من نومها... و هواجس الخوف تحاصرها. قالت لأبيها: - يا أبتى أنى رأيت قرآناً يسقط من يدى. قال الذى عنده علم الكتاب: - يا فاطمهٔ.. يوشك أن اُدعى فأُجيب.. وقد عرض علىَّ جبريل [صفحه ۱۷۸] القرآن فى هذا العام مرّتين. تجمّعت فى عينيها الدموع... ضرب الحزن اطنابه فى القلب الكسير... دق أوتاد خيامه. قال الأب ليسرّى عن ابنته: - لا تحزنى.. أنتِ أول أهل بيتى لحوقاً بىّ. أشرقت شمس الأمل.. وجدت لها طريقاً خلال الغيوم فعادت البسمهٔ تموج فوق وجه أزهر... وجه يتألّق بنور اللّه، واللّه نور السماوات و الأرض. و تمرّ الأيّام متوجسهٔ و الأرض تفتقد جبريل. سقط رسول السماء مريضاً فوق الأرض.. عصفت به الحمى.. عجز الماء عن اطفائها... و شعر الرجل السماوى بأنّ الأُفق مشحون بالمؤامرهٔ وان هناك عيوناً تبرق فى الظلام تريد الاستحواذ على أمانهٔ.. تهيّبت حملها السماوات و الأرض. هناك فى الخفاء و بعيداً عن العيون كان العنكبوت تنسج شبكهٔ مخيفهٔ. و كانت هناك فراشهٔ قادمهٔ... تحلم بالربيع دفعتها ريح صفراء فهى توشك ان تسقط فى بيت هو أهون البيوت. فى الليل و الناس نيام حطّم الشيطان أغلاله و ذرّ قرنيه يريد الفتنهٔ... [صفحه ۱۷۹] كان الجوّ مكفهراً.. و قد ادلهمت السماء.. و سكون مهيب يجثم فوق المدينهٔ.. والقلق عاصفهٔ مدمّرهٔ تهزّ القلوب تريد اجتثاث الطمأنينهٔ منذ بيعهٔ «العقبهٔ» و «بيعهٔ الرضوان»، كانت القلوب خائفهٔ وهى تنطوى على شىء يوشك أن تفقده... السلام... كان محمد سلاماً فى الأرض.. والأرض توشك أن تفقد هذا السلام... و رسولاللّه يغلى بالحمّى...، وأفواه القرب تريد اطفاء الجمر، حتى اذا هدأت الحمى وانتظمت انفاس النبىّ أرسل وراء أصحابه وقد شمّ فى الفضاء رائحهٔ غريبهٔ.. طفحت الفرحهٔ فوق الوجوه وهى تنظر إلى النبىّ هادئاً قد فارقته الحمّى؛ قال الرسول و هو يريد تمزيق شباك العنكبوت: - ألم آمركم أن تنفذوا جيش اسامهٔ. تمتم بعض الصحابهٔ: - بلى يا رسولاللّه. - لِمَ تأخرتم عن أمرى؟ قال أبوبكر مبرّراً: - انى خرجت إلى الجرف ثم رجعت لاُجدد بك عهداً. وعلّق عمر: - وأنا لم أخرج.. لا أُريد أن اسأل عنك القوافل. [صفحه ۱۸۰] العنكبوت منهمكهٔ فى مدّ الخيوط لاصطياد فراشهٔ الربيع و النبى يحاول تمزيقها: - انفذوا جيش اسامهٔ.. لعن اللّه مَنْ تخلف عن جيش اسامهٔ. تسارعت أنفاس الرسول وكان قلبه يخفق بشدّهٔ و قد عاودته الحمى، و شعر بدوار يعصف برأسه.. حتى غامت الأشياء حوله.. و بكت النسوهٔ.. و كادت فاطمهٔ أن تموت. أفاق النبىّ من غيبوبته و قد شعر بالخيوط الواهنهٔ تسدّ الطريق على فراشهٔ الربيع فحاول للمرّهٔ الأخيرهٔ: - أئتونى بدواهٔ و صحيفهٔ لأكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً. هبّ صحابى ينشد الهدايهٔ.. ولكن العنكبوت كانت قد سدّت الطريق أمام فراشهٔ النور. قال عمر آمراً: - ارجع لقد غلب الوجع رسولاللّه... انه ليهجر و حسبنا كتاب اللّه. رمق أبوبكر صاحبه بنظرات ذات معنى. و قال الذى نهض: - هل أحضر لك الدواهٔ يا نبىّ اللّه؟ قال النبى بحزن: [صفحه ۱۸۱] - أبعدَ الذى قاله عمر. واحتجت النسوهٔ من وراء حجاب و كان صوت اُمسلمهٔ واضحاً: - ائتوا رسولاللّه حاجته. هتف عمر بعصبيهٔ: - اسكتن فانكن صواحب يوسف.. إذا مرض عصرتن أعينكنّ واذا صح أخذتن بعنقه. نظر النبىّ إلى أبىحفص و تمتم: - هنّ خيرٌ منكم. و بكى أحد الصحابهٔ، و قد شعر بهبوب العاصفهٔ... و تفرق من كان حاضراً.. ولم يبق مع النبىّ إلّا شاباً لا يفارقه مذ أطلّ على الدنيا وهاهو اليوم الموعود.. يوم تعود فيه النفس إلى بارئها راضيهٔ مرضيهٔ.. اليوم هو يوم الاثنين.. و «صفر» لا يريد الانطواء إلّا بعد أن يشهد رحيل السلام.. كان علىّ يعتنق الرجل الذى ربّاه صغيراً و علّمه كبيراً وفتح له أبواب الملكوت.. و النبىّ يشدّ على يد فتى شرى روحه للّه و الرسول.. اللّه وحده الذى يراقب الأعماق.. كان علىّ كالمذهول. ودّ لو يقيه بروحه... الحياهٔ مريرهٔ دون محمّد. و ما أحلى الموت معه أو دونه. [صفحه ۱۸۲] نهضت «فاطمهٔ» تجرجر نفسها بعناء و تبعها السبطان.. فإنّ للنبىّ والوصى ساعهٔ من وداع بعد رحلهٔ دامت ثلاثهٔ و عشرين سنهٔ.. لحظات كالقرون المتماديهٔ والنبى ينوء بنفسه، يصغى إلى ملائكهٔ الرحمن، ولكن أهل الأرض عن السمع لمحجوبون.. لم يسمعوا شيئاً سوى كلمات هى آخر ما حفظته الأرض من رسول السماء: - بل الرفيق الأعلى.. وانطلق «محمد» نحو اللّه يعبر السماوات مخلّفاً جسده بين ذراعى علىّ.. وقد هبّت العاصفهٔ، و حطّم الشيطان أغلاله فراح يوقظ الأوثان العربيهٔ. [صفحه ۱۸۳]

القسمت ۳۱

المدينـة هائجـة وقـد زلزلت الأرض زلزالهـا.. فالقلب الـذى كان ينبض حبّاً للفقراء والمحرومين قـد توقف إلى الأبـد... وانقطع ذلك الحبل الممـدود الذى يربط السـماء بالأرض.. واختفت ظلال جبريل وبدا المسـجد خاوياً على عروشه.. العيون تبكى و الحناجر تشـرق بالعبرات. ليت السـماء اطبقت على الأرض وليت الجبال تدكدكت على السهل. هل رأيت قطيعاً من الماشية سقط راعيها فراعها خوف من ذئب قـد يشـدّ عليهـا فهى تجرى فى كـلّ اتجاه تبحث عمّن يهبهـا الطمأنينـة حتى لو كـان وهمـاً. وهـل رأيت غريقاً فى بحرٍ هائج يتشبث بكلّ شـىء غير الماء حتى لو كان قشّـة لا شأن لها.. هكذا كانت المدينة... ذلك النهار العاصف كان أبوحفص زائغ [صـفحه ۱۸۴] العينين يبحث عن صاحبه يترقّب حضوره بين اللحظة و الأخرى... همس فى نفسه حانقاً: - ما كان على أبىعائشة أن يذهب إلى «السـنخ» فى هـذه الأيام... كان منظر «عمر» مخيفاً بطوله الفارع و عينيه المتوقـدتين وزادت نظراته الغاضـبة هيبته فى النفوس فتنحوا عن طريقه و هو يدخل منزل النبى. كشف عمر عن وجه النبىّ و تمتم بصرامة: - لقد اغمى على رسولاللّه. قال أحد الحاضرين مستنكراً: - قد مات رسولاللّه. أجاب عمر بغضب: كذبت ما مات ولقد ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران. غادر عمر المنزل هائجاً ووقف وسـط الجماهير و هو يلوح بسـيفه: - ان رجالاً من المنافقين يزعمون ان رسولاللّه قـد مات وانّه واللّه ما مات ولكنه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسـى بن عمران واللّه ليرجعنّ رسولاللّه فليقطعنّ أيـدى رجـال و أرجلهم ممن أرجف بموته. وجـد القطيع الممزّق شـبحاً لراع فالتفت حوله تلتمس الأمن؛ [صـفحه ۱۸۵] ووجـد الغرقى قشّـشا فراحوا يتشـبثون. و عنـدما يفقد الإنسان الأمل فانه قد يعمد إلى وهم يهبه شـكل الحقيقـد فى لحظـد يـأس مريرة... تحلّق النـاس حول رجل يبرق و يرعـد و يهـدّد من يقول بموت الرسول... و ما أجمل ما يقوله «عمر» ان محمـد لم يمت و لا يموت حتى يظهر دينه على الدين كلّه.. للّه درّك يابن الخطّاب. كان المغيرة ينظر إلى أبىحفص يفكر فى لغز استعصـى حله عليه.. ارتسمت علامة استفهام كبيرة ما تزال حتى اليوم و ربما إلى يوم الدين. من بعيد لاح أبوعائشة يحث الخطى.. ولعـل «المغيرة» قـد لاحـظ شـيئاً.. فقـد بـدا الرجـل الـذى كـان يهـدد و يتوعـد من حوله بالويل والثبور يخفف من حـدته.. و انحسـرت تلك الزوبعـة المـدمّرة ليحل مكانها سـكون رهيب. هتف أبوبكر من بعيد: - على رسـلك ايها الحالف. ثم التفت إلى الأمّة المدهوشة: - ايها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات و مَن كان يعبد اللّه فان اللّه حىٌّ لا يموت.. و ما محمد إلا رسول قد خلت من [صفحه ۱۸۶] قبله الرُسل أفئن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضـرّ اللّه شيئاً. تنفس أبوحفص الصـعداء و هو يرنو إلى صاحبه الـذى حضـر فى الوقت المناسب.. كان المغيرة ما يزال يرقب أباحفص و هو يكاد يصـعق.. لقـد انتهت الثورة. فجأة هدأت العاصـفة. استسـلمت عند قدمى أبىعائشة. وقف عمر إلى جانب صاحبه وانضم اليهما رجل ثالث هو «ابن الجراح» و تبـادل الثلاثـة نظرات هى أبجديـة كاملـة.. ربمـا كـانوا يفكرون للمسـتقبل ليومين أو ثلاثـة أو ربمـا للتاريـخ كلّه. ان كـل التحولات الاجتماعية الكبرى انما تولد فى الضـمائر قبل أن تجد طريقها إلى الواقع.. انّها موجودة فى دائرة القوة حتى يأتى من يخرجها إلى دائرة الفعـل.. و كـان فى ضـمائر جلـة المهـاجرين و قريش قاطبـة ألاـ تجتمع النبوة و الخلافـة فى بنىهـاشم... و قـد قرأ رجـال ما يجول فى الخواطر ليخرجوا ما اسـتتر فى الضـمائر و عجز النبى عن هزيمته يوم هزم الأوثان العربيـة. النبى الذى جاب الصـحراء ينشـر فيها النور و الحياة هو الآن جثـة هامدة.. و توقف القلب الذى ينبض بالحب.. القلب الذى سـحر كل القلوب فتآلفت. و مذ توقف هذا القلب انفرط عقد القلوب جميعاً كما [صفحه ۱۸۷] التيار الكهربائى إذا انقطع انطفأت المصابيح وعاد الظلام فلا تسـمع سوى أصوات بومة تصيح: - هوو.. هوو.. هوو.. تبشـر بزمن الخرائب و الاطلال. يـا له من صـباح مظلم كئيب.. احـترقت شـمسه وانتحر ضـياؤه.. عيون غارقـة فى بحيرات الـدمع و عيون تترصـد بحذر بيتاً فيه جسد مسجى و قلوب كسـيرة و رياحين ذابلة و شـموع منطفئة.. و هناك و بعيداً عن كل العيون اجتمع رجال من «الأوس» برجال من «الخزرج» يتشاورون فى رجل «مزمّل» و قد أوجسوا خيفة من غدر قريش. «السقيفة» تكتظ برجـال نصـروا الرسـول و آزروه يوم كـان شـريدشا، و قهروا به الـذين شـرّدوه عن ديـاره بغير حقّ. طـافت خيالاـت «بعـاث» فى فضـاء السـقيفة، نشـرت ظلالها سوداء كالحة.. نكأت جروحشا ضـمدها رسول السـماء فاندملت.. إلى حين. قال سـعد و كان دنفا: - يا معشـر

الأنصار ان لكم سابقة فی الدین و فضیلة لیست لقبیلة من العرب.. فلا تدعوهم یغلبوكم علی أمركم. قال زید مؤیداً: -وفقت فی الرأی و أصبت فی القول. ولن تعدو ما أمرت نولیك [صفحه ۱۸۸] هذا الأمر، فأنت لنا مقنع و لصالح المؤمنین رضی. قال «ابن حضیر»: -ولكنهم عشیرة النبی و هم أولی به من غیرهم. أجاب ابن المنذر مستدركاً: -إذن نقول لهم منّا أمیر و منكم أمیر. هتف سعد غاضباً: -هذا أوّل الوهن. و تمتم ابن الأرقم متأسفاً بصوت لم یسمعه أحد: -لك اللّه یا علیّ.. ان الملأ یأتمرون بك لی... وانسلّ من بین الجمع شبحان راحا یحثان الخطی و قد انبعثت فی الأعماق اصداء معركة قدیمة فی یوم من أیام العرب. قال عویم یحث صاحبه: -اسرع یا معن قبل أن تعقد لسعد. [صفحه ۱۸۹]

القسمت ۳۲

بدا «أبوعائشة» متردّداً یقدم و یحجم.. كرجل تاهت به السبل.. یزن الاُمور بوقار تاجر قدیم، قال فی نفسه: لیقنع بنوهاشم بالنبوة ولیدعوا الخلافة لبطون قریش ولكن ماذا یفعل و وصایا النبی فی الصدور وفی القلوب. أبوبكر غارق فی تأمّلاته.. وكان صاحبه یختلس الیه النظرات... نظرات مصممة قویّة ثاقبة لایعرفها سوی «الجراح».. وبدا أبوحفص فی تلك اللحظات قویاً كالعاصفة جباراً كالسیل وقد اشتعلت فی أعماقه كلمات قالها یهودی ذات یوم: -أنت ملك العرب. كان عمر غارقاً فی هواجسه عندما وصل «عویم» و «معن». هتف «أبوحفص»: -ماذا؟!! [صفحه ۱۹۰] لم یكن هناك وقت.. فالفرص تمر مر السحاب وانطلق ثلاثة رجال.. لو رأیتهم من بعید لأدركت أیة طامة وقعت لهم أو علیهم... كانوا یسرعون الخطی.. والرسول ما یزال مسجی.. فی فراشة... یتحدث بلغة الصمت.. لغة عجیبة لاتفهمها سوی اُذنٌ واعیة... رجال من الأوس و رجال من الخزرج یأتمرون قد أوجسوا خیفة.. ورجال من قریش یحثون الخطی إلی سقیفة لبنیساعده و النبی یدعوهم بلغة الصمت.. «الغنائم» تلوح من بعید شهیة یسیل لها اللعاب و قد ترك «الرماة» مواقعهم.. فی «عینین» و الرسول یدعوهم. اقتحم الثلاثة «السقیفة»، وبدت الوجوه مخطوفة اللون شاحبة قد عراها اصفرار. لقد انتقض الغزل و هو فی أیدیهم.. كان أبوحفص علی و شك أن یثور لولا-أبوبكر: مهلاً-یا عمر: الرفق هنا أبلغ. و توجه أبوبكر إلی الأوس و الخزرج بكلمات هادئة: -یا معشر الأنصار من ینكر فضلكم فی الدین و سابقتكم العظیمة فی الإسلام؟.. و اللَّه رضیكم لدینه و رسوله أنصاراً وانتخبكم محلّاً لهجرته و فیكم جل أزواجه و أصحابه.. ثم أردف و هو یرمی سهماً فی الهدف. [صفحه ۱۹۱] -نحنُ الاُمراء و أنتم الوزراء. اعترض «الحبّاب» و قد أخفق فی إخفاء وهنه: -بل منا أمیر و منكم أمیر. انتفض عمر لیشدّد الهجوم: -هیهات لا یجتمع اثنان فی قرن.. واللَّه لا-ترضی العرب أن یؤمروكم ونبیّها من غیركم ولكن العرب لاتمتنع ان تولّی أمرها من كانت النبوة فیهم و ولی اُمورهم منهم ولنا بذلك علی من أبی من العرب الحجة الظاهرة و البرهان المبین.. وأردف و قد أخذه حماس المنتصر: -من ذا ینازعنا سلطان محمد و امارته و نحن أولیاؤه و عشیرته الّا مبطل أو متجانف لإثم أو متورّط فی هلكة. رد الحباب بغضب: -املكوا أمركم یا معشر الأنصار و لا تسمعوا مقالة هذا فیذهبوا بنصیبكم من هذا الأمر.. فان أبوا فاجلوهم عن البلاد.. إنا أحق بالأمر منهم، بأسیافنا دان العرب لهذا الدین.. وأخذته فورة حماس فراح یطلق التهدیدات حمماً: -أنا شبل فی عرینة الأسد... و اللَّه لا یرد علی ما أقول إلَّا حطمت أنفه بالسیف. [صفحه ۱۹۲] انبری عمر لامتصاص العاصفة بمرونة متكلفه: -اذن یقتلك اللّه. -بل إیّاك یقتل. و نهض رجل من الخزرج و قد رفع رایة بیضاء: -إنّا أول من نصر اللَّه و رسوله و جاهدنا المشركین لانبتغی من الدنیا عرضا... ألا و ان محمداً من قریش و قومه أولی به وأحقّ.. فاتقوا اللَّه یا معشر الأنصار و لا تخالفوهم.. و لا تنازعوهم. تنفّس عمر بارتیاح و هو یراقب تهاوی القلاع.. هتف الحباب مخذولاً: -حسدت ابن عمّك!! -لا-واللَّه.. ولكن كرهتُ ان اُنازع قوماً حقّاً جعله اللَّه لهم. و انبری أبوبكر لاقتطاف أولی الثمار. أشار إلی عمر و أبیعبیدة و قال: -قد رضیت لكم أحد هذین الرجلین فأیُّهما شئتم فبایعوا. و بطریقة لم تبد عفویة هب عمر مستنكراً: -معاذ اللَّه.. أنت أفضل المهاجرین.. ابسط یدك. بسط «أبوبكر» یده و قد سقطت التفاحة فی قبضته؛ و نهض رجل من الخزرج فبایع.. و رجل من الأوس.. و تهاوت القلاع و الحصون.. [صفحه ۱۹۳] وتمت أول «فلتة» فی تاریخ الإسلام.

بدا «الحباب» متشنجاً كمن أصابه مس من الجنون فالتفت اليه أبوبكر مدارياً: - أتخاف منى يا حباب؟ - ليس منك ولكن ممن يجيء بعدك. - اذا كان ذلك كذلك فالأمر اليك و إلى أصحابك ليس لنا عليكم طاعة. - هيهات يا أبابكر اذا ذهبت أنا و أنت جاءنا من بعدك من يسومنا الضيم. و قال أبوعبيدة بلين: - يا معشر الأنصار أنتم أولى فضل ولكن ليس فيكم مثل أبي‌بكر و عمر و على. أجاب زيد و قد هزه اسم على: - إنّا لا ننكر فضل من ذكرت و ان منّا سيّد الأنصار سعد بن عبادة و إمام العلماء سعد بن معاذ و ذوالشهادتين خزيمة... و ان بين من ذكرت من قريش لو طلب الخلافة لا ينازعه أحد. - مَن؟!! - على بن أبي‌طالب... واللّه ما اجتمع الأنصار في السقيفة إلّا بعد شمّوا رائحة غدر دبّر بليل. [صفحه ۱۹۵]

القسمت ۳۳

انطوى يوم الاثنين و قد ألقى الحزن كلاكله فوق الأرض كغراب اسطورى. فاطمة تنوء بنفسها و قد اسندت رأسها إلى صدر لم يعد النسيم يزوره. كانت تصغى إلى صمت الأنبياء وللصمت حديث تسمعه القلوب و تصغى إليه العقول، العينان اللتان كانتا نافذتى نور قد اسدلتا جفونهما واليدان اللتان كانتا مهداً هما الآن مسبلتان. الروح التى كانت تصنع التاريخ و الإنسان قد رحلت بعيداً. غادرت هذا الكوكب الزاخر بالويلات. لقد حلّت لحظة الفراق، و تخفف الإنسان السماوى من ثوبه الأرضى ليرحل إلى عوالم حافلة بالنور و قد سمع أهل الأرض كلمات النبى، كان ينظر إلى السماوات و يهتف: - بل الرفيق الأعلى. [صفحه ۱۹۶] أيُّها الصامت.. صمتك أبلغ من كل أبجديات الدنيا و سكونك المدوى صرخة حقّ فى عالم الأباطيل. و قد زلزلت الأرض زلزالها، انهار عمود خيمة كانت تعصف بها الريح.. و تمزّق الكساء اليمانى، و كان يدّثر نبيّاً هو خاتم الأنبياء و رجلًا يشبه هارون فى كل شيء إلّا النبوة، وامرأة هى سيدة بنات حوّاء وسبطين هما آخر الأسباط فى التاريخ. جثا على أمام جسد كانت روحه العظيمة تضيء الجزيرة و بقايا نور فى الجبين البارد تشبه شمساً جنحت للمغيب.. وهناك خلف جدران المنزل الذى جثم عليه حزن سرمدى كانت ترتفع ضجّة رجال.. كريح صفراء كانت تقترب من المسجد حيث لا يفصله عن المنزل سوى جدار يكاد أن ينهدّ. و خفّ رجل هاشمى يحمل انباء السقيفة.. ستهب الريح عاصفة مدمّرة.. لاتبقى و لا تذر. تساءل على: - ما قالت الأنصار؟ - قالت منّا أمير و منكم أمير. - فهلّا احتججتم عليهم بأنّ رسول‌اللّه وصى بأن يحسن إلى محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم. - و ما فى هذا من الحجّة عليهم؟ - لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصية بهم، سكت هنيهة و سأل: [صفحه ۱۹۷] - فماذا قالت قريش؟ - قالت: انا شجرة محمد. تتم على بأسى: - احتجوا بالشجرة و أضاعوا الثمرة. وقف هارون حائراً يتأمل رمال سيناء.. يترقّب عودة أخيه.. و كان موسى يمم وجهه شطر الجبل.. - ما أعجلك عن قومك يا موسى؟ - هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى. - فإنّا قد فتنّا قومك من بعدك و أضلّهم السامرىّ. وعاد موسى غضبان أسفاً يحمل معه ألواح السماء. و كان هارون يقاوم العاصفة و كان العجل يخور وسط العاكفين. قال هارون مشفقاً: - إنّما فتنتم به و إن ربّكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا أمرى. - لن نبرح عليه عاكفين حتى يعود الينا موسى. و لمّا عاد موسى ألقى الألواح و قال بغضب: - بئسما خلفتمونى من بعدى. و قال هارون بحزن: - إنّ القوم استضعفونى و كادوا يقتلوننىء. [صفحه ۱۹۸] ولمّا سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح و تمتم: - إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربّهم و ذلّة فى الحياة الدنيا. ونظر موسى إلى السماء و قال متضرعاً: - ربِّ اغفر لى و لأخى و أدخلنا فى رحمتك و انت أرحم الراحمين. و التفت موسى إلى السامرىّ: - ما خطبك يا سامرىّ؟ - بصرتُ بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها و كذلك سوّلت لى نفسى. قال موسى و هو ينبذه فى قلب التيه: - إذهب فإن لك فى الحياة ان تقول لامساس و ان لك موعداً لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفاً. وضاع السامرىّ فى التيه.. بين تموّجات الصحراء.. وعواء الذئاب. كان صوته يتبدد فى المدى يبحث عن وطن.. والوطن لا يقبل شجراً مجتثاً من فوق الأرض ماله من قرار. الصحراء بعيدة.. و الرجل المنبوذ يشدّ إلى جسده عباءة خرّقتها الريح و هو يطوى التيه.. يقبض قبضة من الرمال يشمّها علّه يجد فيها أثر الرسول... ولكن لا شيء سوى الريح حتى إذا بلغ «فدك» من أرض الجزيرة تهالك عند

جذوعها ینازع الموت و قد أیقظت العرب أوثانها. [صفحه ۱۹۹]

القسمت ۳۴

جلست حفصهٔ قرب عائشهٔ کما تجلس الجاریهٔ عند سیدتها أو المرید عند استاذه یتعلّم منه أو یراقب حرکاته و سکناتهٔ ولعلّ الصداقهٔ التی تربط بین الأبوین قد بخّرت تماماً ما تضمره المرأهٔ لضرّتها وأزاحت بعیداً ذلک التنافس المریر فی التفوّق وهاهی الأیام تمرّ لتوحّد بینهما، تضاعفت خلوات عمر بأبی‌بکر وزادت الأواصر بین عائشهٔ و حفصهٔ... و قد جلست المرأتان فیما یشبه الاحتفال بالنصر... أو التفکیر لجولهٔ قادمهٔ... کانت عائشهٔ تغالب شعوراً بالتشفی والانتقام وها هو أبوها یحقق أول انتصار علی منافسه. منذ سنوات و أبوبکر یفعل المستحیل لیبقی فی الصدارهٔ... فهو صاحب النبی فی الغار و هو الملازم له فی العریش... هو و علیّ فرسا [صفحه ۲۰۰] رهان ولکن ماذا یفعل و علیّ السبّاق فی کل شیء.. ماذا تتذکر عائشهٔ.. «خیبر» «ذات السلاسل».. سورهٔ براءهٔ... لشدّ ما تمقت علیّاً... انّها لا تستطیع أن تنسی کلماته و هو ینصح النبی بطلاقها یوم «الافک».. وفاطمهٔ التی تغار منها و من اُمّها.. خدیجهٔ.. ولکن ما تبغی وهاهو أبوها یمسک بالزعامهٔ والخلافهٔ. امّا علیّ فهو جلیس داره وحید لیس معه من یؤازره أحد... و فاطمهٔ التی لا تفتأ تبکی أباها لیل نهار. عائشهٔ هادئهٔ البال تنعم بالمجد.. لقد کانت زوجهٔ أعظم رجل فی الجزیرهٔ وهاهی الیوم بنت رجل یهابه الجمیع.. کانت عائشهٔ مستغرقهٔ فی خیالات الماضی و المستقبل عندما دخل أبوها و کان معه عمر.. بدا أبوبکر مهموماً... لقد جاء أبوسفیان و هو یخشی صولته. قال عمر و قد أدرک ما یجول فی خاطره: -الأمر بسیط یا خلیفهٔ رسول‌اللّه.. أنا أعرفه.. اترک ما فی یده من الزکوات.. اننا نحتاج إلی بنی‌اُمیهٔ للوقوف بوجه بنی‌هاشم.. نشغل بعضهم ببعض فتصفولک الاُمور. - ارحتنی یا عمر من همّ وبقیت هموم. - أتعنی علیّاً و أصحابه... و اللّه لأجعلنهم یبایعون.. طائعین أو [صفحه ۲۰۱] کارهین... ولسوف أمضی الیهم بنفسی فان تعلّلوا أحرقت علیهم البیت. - إنّ فیه فاطمهٔ یا عمر. - و إنْ. تداعت الذکریات فی خیال أبی‌بکر. تذکر یوم خطب فاطمهٔ فردّه الرسول. انّه لن یغفر لها ذلک... کما لن یغفر لها ما سببته من آلام لإبنته. کانت عائشهٔ لا تطیق رؤیتها و لا رؤیهٔ زوجها.. هو أیضاً کان لایرتاح لفاطمهٔ و کان یشعر بالحسرهٔ لما تقاسیه ابنته. قال عمر و هو یرمق صاحبه بنظرهٔ ذات معنی: - یا له من حدیث أصبت به مقتلاً... أنا أیضاً أذکر ان النبی قال: «نحن معاشر الأنبیاء لا- نورّث.. ما ترکناه صدقهٔ». ابتسم أبوبکر... و کأنه یقول و ما فی وسعی أن أفعل غیر ذلک.. امامنا جولات و جولات.. و فاطمهٔ ما تزال تقارم.. قال أبوبکر متوجّساً: - أنا أخشی فاطمهٔ.. انّها ثائرهٔ ولن تسکت.. و کیف تسکت و هی بنت محمد.. و زوج علیّ. - لا تخشَ شیئاً یا صاحبی سینتهی کلّ شیء.. ما هی إلّا امرأهٔ.. و لیس معها أحد. [صفحه ۲۰۲] قال أبوبکر و قد استیقظت فی أعماقه بقایا ضمیر: - ماذا لو نسلّمها «فدکاً» و نرتاح من کلّ هذا العناء. - ماذا تقول یا صاحبی اذا أعطیتها فدکاً الیوم فستأتی غدا لتطالب بالخلافهٔ إلی بعلها.. و أنت تعرف ان فدکاً لدیها لیست فاکههٔ أو نخیل و لا أرض انّها الخلافهٔ.. لا لا.. لا تفعل ذلک أبداً. - ألا تخشی غضبها یا أباحفص.. غضبها یعنی غضب اللّه و رسوله.. الجمیع یعرف ذلک. - و هذه أیضاً ستمرّ کما تمرّ العاصفهٔ.. سوف نزورها ذات یوم فتصفح عنا و ینتهی کل شیء.. انّک لتصوم و تصلّی و تحجّ و تجاهد فلا تقلق. -اتمنی أن یکون ذلک. کانت عائشهٔ تصغی بصمت إلی حدیث أبیها تدرک ما یموج فی أعماقه من رقهٔ تکاد تنقض کل صلابته لولا صاحبه الذی لا یعرف غیر الاندفاع کالزوبعهٔ... و لولاه ما وقف أبوها کلّ هذه المواقف... وعائشهٔ تدرک جیداً ان عمر یحلب لأبیها لیأخذ شطراً منه غداً. علی هذا تعاهدا و معهما «الجرّاح». عائشهٔ لا ترتاح لتردد أبیها. انّها ترید منه أن یکون قوّیاً هذه المرّهٔ... و قد غاب «محمّد» فلیندفع لیهزم «علیّاً» أمام عینی [صفحه ۲۰۳] «فاطمهٔ»، لشدّ ما یسعدها أن تری فاطمهٔ کسیرهٔ مغلوبهٔ تندب المجد الذی ولّی و العزّ الذی مضی. - لا لا یا عائشهٔ لا تکونی قاسیهٔ إلی هذا الحدّ... أرجوک إذا مررت بشجرهٔ محطمهٔ فلا تدوسی ثمارها.. أو حمامهٔ مهیضهٔ الجناح فلا تستلّی السکین لتذبحیها.. ألیس هناک مکان للحبّ.. للّه؟ - أتریدنی اشفق علی فاطمهٔ.. فاطمهٔ التی استحوذت علی قلب زوجی... لا- لا- لن أغفر لها ذلک.. و علی الذی ود طلاقی.. کلّا لن أغفر لهما أبداً. تلاشی الدویّ وخفتت نداءات الإنسان..

وانتصر النمر المتوثّب فی الأعماق لیطلّ من عینین یکاد بریقهما ینفذ فی الضلوع. [صفحه ۲۰۵]

القسمت ۳۵

فاطمـة حزینة.. وحیدة فی هذه الدنیا الغادرة.. غیّب التراب وجهاً کان یضـیء دنیاها و توقف قلب کان یملأ حیاتها أملًا.... رحلت أمّها وهی بعـد صبیّة.. وهاهی تفقد أباها وهی فی عمر الربیع.. فقدت الأشـیاء شـفافیتها و بدت عاریة مقرفة. کانت تنظر إلی الجزیرة فتراها خضـراء.. خضـراء. تنظر بعینی محمد فتری البراعم تتفتح و الریاحین تفوح بالعطر.. والسماء تزخر بأجنحة الملائکة مثنی وثلاث و رباع و کلمـات جبریـل تملأـ الفضـاء. و لمّا أغمض الأب عینیه انطفأت کلّ الشـموع.. انکفأت فوق صـحون الحنّاء.. ذبلت الریاحین و غادر الربیع الجزیرة... واستیقظت الاصـنام... فتحت عیونها الحجریة.. وانبعث خوار «عجل» فی «فدک». العاصفة تهبّ عنیفة تدمّر کلّ شیء.. ولو مرّت علی النجوم [صفحه ۲۰۶] لأطفأتها أو علی شـجرة زیتون لاجتثتها من فوق الأرض... و فاطمة وحیدة.. لیس معها أحد سوی رجلها و قد أغمد «ذا الفقار» بعد ان وضعت الحرب أوزارها.. و سیّد الرجال یأبی أن تکون له فی الفتنة سیف.. سلاحه الصبر؛ و الصبر سلاـح الأنبیـاء. لیس فی منزل فاطمـة سـوی صـبیین ینتظران عـودة جـدّهما.. لیس فی منزل فاطمـة سـوی بنت صـغیرة غارقـة فی حزن سرمـدی... بنت اسـمها «زینب»؛ لیس فی منزل فاطمة أحد إلّا المستضـعفون فبدا کقلعة مهجورة تحمل آثاراً لجبریل. سـتهبّ العاصـفة اعصاراً فیه نار و قد لاذ الخائفون فئراناً مذعورة فی جحورها.. ولیس هناک من سلاح إلّا الصبر... و الصبر له طعم کالحنظل لایعرفه إلّا المظلومون. بـدا علیّ ذلـک الیوم کأسـد جریـح.. أسـد مثقل بالقیود و السـلاسل.. و أصـعب ما یواجه الرجل من ضـیم أن یری امرأته مقهورة وحیدة و هو موثق الأیدی... کان علیّ یدرک ما یدور فی الخفاء... شمّ منذ أمد بعید رائحة المؤامرة و لم یکن فی مقدوره أن یفعل شیئاً... کانت العناکب تحوک شباکها لیل نهار. والسماء تکتظّ بقطع السحب السوداء، والقمر فی المحاق.. هبّت العاصفة، وهتف ابن صـهاک، وقنفذ ینظر بعینین فیهما بریق شیطانی: [صفحه ۲۰۷] - یا علی اخرج و بایع کما بایع الناس. لاذ الأسد بالصـمت، و رفع ابن صـهاک صوته بعصبیـة: - لتخرجنّ أو لأحرقن الـدار. هتف رجل مسـتنکراً: - إن فیها فاطمـة. أجاب ابن صـهاک. - و إن!. هتفت فاطمة بغضب: - سـرعان ما أغرتم علی أهل البیت. رکل قنفذ الباب بوحشـیة... وظهرت بنت محمّد فی قبضـتها لواء المقاومة.. وجهها الأزهر مضـمخ بعبیر النبوّات و کان حسن و حسـین ینظران بدهشـة إلی رجال کانوا بالأمس یبتسـمون لهما و قد جاءوا الیوم یکشّـرون عن أنیاب کالـذئاب. - أین أنت یا جـدّاه.. هلمّ لتری ما یفعل أصـحابک. هتفت فاطمـة بغضب الأنبیاء: - اخلوا الدار.. و خلّوا عن ابن عمی.. ثم أردفت و هی تستنجد بالسماء: - لئن لم تخلّوا عنه لانشرن شعری و لأصرخن إلی اللّه. [صفحه ۲۰۸] هتف سلمان وقد رأی العذاب قاب قوسین أو أدنی: - یا سیدتی! إن اللّه بعث أباک رحمة. والتفت إلی عمر: - خلوا عن علیّ فقد اقسم ألّا یخرج حتی یجمع القرآن. انسـحب الرجال أمام فتاة نحیلـة الجسم کنخلة متواضـعة.. لکنّها عمیقة الجذور. ما تزال رایة المقاومة ترفرف فوق منزل فاطمة کطیف من رؤی النبوّات. وقف التاریـخ مشدوهاً قبالة منزل صـغیر یضمّ فتاة نحیلة القوام. وقف التاریخ خاشـعاً أمام «فاطمة».. أمام فتاة عجیبـة لم یرَ مثلها صـفاءً لکأنها تنتمی إلی عالم آخر لایمت إلی عالم التراب بوشـیجة. قبس من نور یکاد ینفـذ من أهاب جسد نحیل لکأن الملاک یوم ولـدت تضـرّع إلی ربّه: - یا ربِّ اجعلها ثابتـة کالجبل، مبارکـة کالنخیل، طاهرة کقطرات النـدی، سیّدة کحوریـة. وقف التاریـخ مـذهولاً أمام فاطمـة.. غیمة بیضاء تختزن الرعود... فهذه الفتاة التی تقف فی محرابها تتبتل إلی السـماء حتی تکاد تفتت التراب لتصـبح کوکباً درّیا.. تتسرب من بین الطین عائدة إلی عالم النور. [صفحه ۲۰۹] وقف التاریخ خاشعا امام فتاة تقضی جل وقتها تتأمل ملکوت السماء.. ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانک... فتاة تنطوی ضلوعها علی قلب تضیع فیه الصحاری. وقف التاریخ امام سیدة عظیمة هبت بوجه العاصفة؛ ولتکن «فدک» ارضا للصراع. [صفحه ۲۱۱]

القسمت ۳۶

ما أصغر فدكاً فوق الأرض... وفى الجغرافيا. و ما أوسعها فى خارطة التاريخ. هبّ السامرىّ ليجثو أمام «العجل» وفتحت الأوثان العربية عيوناً حجرية تحدّق ببلاهة... وبرقت عينا «الاسخريوطى» بالغدر و هو يدلّ على ابن مريم... و همّ بنواسرائيل بهارون، وفرّت الفراشات إلى مخابئها و قد عوت ريح الزمهرير كذئاب مجنونة. نهضت فاطمة بوجه العاصفة تقول لا: - لا تقتلوا يوسف.. و لا تلقوه فى غيابت الجبّ. - لا ـ تغدروا بابن العذراء.. لا ـ تعبدوا العجل من دون الرحمن.. لا تقتلوا هارون. - دعوا الفراشات تسبح فى غمرة النور.. لا تطفئوا الشموع.. لا تثقلوا الأرض بالآثام.. دعوا هابيل يرعى ماشيته بسلام. [صفحه ۲۱۲] وقفت فاطمة تنظر إلى الأفق البعيد المدلهمّ بالخطوب و الحوادث وراحت تسرج الشموع فى مهب العواصف علّها تضيء الصحراء والتاريخ. معركة وشيكة ستندلع.. تدمّر كلّ شيء.. معركة عجيبة اسلحتها الصبر.. الصمت الرفض... كان على علىّ أن يرمى «ذالفقار» جانباً.. أن يصرخ بالصمت.. الصمت المدوّى و كان على فاطمة أن تتكلّم بعد أن طوت الماضى متبتلة فى المحراب. نهضت فاطمة. غادرت محراب الصمت لتقول كلمتها فى الذين يسرقون «فدك» فى غمرة الليل حتى لا يسرقوا التاريخ و المستقبل فى وضح النهار.. جاءت فاطمة تطالب بالميراث و كانت جذوع «فدك» سلاحها الوحيد: - اعطنى ميراثى من أبى رسول‌اللّه. قال أبوبكر: - سمعت أباك يقول: نحن معاشر الأنبياء لانورّث. - كيف و قد ورث سليمان داود.. وقال زكريا: يرثنى ويرث من آل يعقوب؟!! - أنا سمعت رسول‌اللّه يقول نحنُ الأنبياء لا نورّث وهاهى [صفحه ۲۱۳] عائشة وحفصة تشهدان على ذلك. - سبحان اللّه ما كان أبى عن كتاب اللّه صادفاً.. و لا لأحكامه مخالفاً.. اشتعلت ثورة فى قلب ابن فاطمة و كان صبيّاً جذب رداء رجل ينازع امّه الميراث. هتف السبط: - انزل عن منبر أبى و اذهب إلى منبر أبيك. سأل الرجل بدهاء: - من علّمك أن تقول هذا؟ لاذ الصبى بالصمت. فعاد الرجل يكرّر مقالة ما أنزل اللّه بها من سلطان. قالت فاطمة و هى تضمّ ريحانة الرسول و تحدّق فى الذين اغتصبوا ميراث الأنبياء: - كلّا بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل واللّه المستعان على ما تصفون. غادرت فاطمة المكان.. و تناثرت أسئلة.. علامات استفهام، فتمتم الخليفة بأسىً أمام صاحبه: [صفحه ۲۱۴] - أما كان الأحرى أن نهبها فدكاً... أنا أخشى ابنة محمد. أجاب أبوحفص مشجّعاً: - لا تخف يا صاحبى... غبرة و تنجلى و ما هى إلّا جولة و ينتهى كلّ شيء... و كأن شيئاً لم يكن... و ربت على كتفه و قد عرف كيف يتغلغل إلى قلبه: - أقم الصلاة... و آت الزكاة... ان الحسنات يذهبن السيئات.. و ما يفعل ذنب واحد فى حسنات كثيرة. أضاءت الابتسامة وجهه، فقال: - كربة فرجّتها يا عمر.. هتف الخليفة و قد شحذ العزم كلمات تدعو بالويل والثبور... - ألا لو شئت أن أقول لقلت، و لو تكلمت لبحت و انى ساكت ما تركت... يستعينون بالصبية و يستنهضون النساء.. و انى لستُ كاشفاً قناعاً و لا باسطاً ذراعاً و لا لساناً، إلّا من استحق ذلك. استنكرت اُمسلمة و كانت امرأة على خير: - أمثل هذا يُقال لفاطمة!! وهى الحوراء و عديلة مريم.. ربيت فى أحضان الأنبياء و تداولتها أيدى الملائكة.. أتزعم ان رسول‌اللّه حرّم عليها ميراثه؟! عادت فاطمة إلى منزلها.. و قد جثم الحزن على بيوت المدينة [صفحه ۲۱۵] كطائر مهيض الجناح. أوت فاطمة إلى المحراب تستمد من السماء الروح.. الحياة.. النور؛ تريد أن تتخفف من عناصر الأرض.. الأرض المثقلة بالدماء الآدمية... تريد أن تنتمى إلى عالم آخر لانكد فيه و لا عناء... تنشد بيتاً من قصب لا تعب فيه و لا نصب.. ما تزال تبحث عن اُمّها.. أوت فاطمة تلك الليلة إلى المحراب، وقالت: - ربِّ إبنِ لى عندك بيتاً فى الجنّة و نجّنى. هوّمت عيناها.. فانبثق شلّال من نور النبوّات. هتفت بشوق: - يا أبتاه، يا رسول‌اللّه انقطعت عنّا السماء. خفقت أجنحة الملائكة.. رفرفت كفراشات من نور سماوىّ.. ولجت فاطمة الملكوت راحت تخطر فى عوالم النور.. الملائكة صفوف والحدائق غنّاء... و الأنهار تجرى متدفقة تدفّق الحياة.. وحوريات يخطرن بين الأشجار الخالدة. قالت احداهن لفاطمة: - مرحباً بحورية الأرض... فاطمة تخطر فى عالم شفّاف.. عالم ملوّن. أشارت فاطمة إلى نهر يطّرد.. تتدافع أمواجه البيضاء.. تدور حول قصر تحفّه الأشجار [صفحه ۲۱۶] ويغمره النور من كلّ مكان. قالت حورية: - هذا الفردوس.. وهنا يسكن سيّد ولد آدم محمد. - أين أبى؟ انبثق شلّال من نور محمّد... كان يرتدى ثياباً من سندس بلون الربيع.. ركضت فاطمة.. ضاعت فى صدره الرحب.. شعرت بأنها تعود إلى أحضان أمّها.. إلى عالم تنتمى اليه. - انظرى إلى ما أعدّ اللّه لك.. لقد انتهت آلامك و آن لك أن تستريحى.. انظرى إلى زهدك كيف أصبح جنّة عرضها كعرض السماوات و إلى فراش الليف

فكيف صار سريراً من حرير، و إلى جوعك و عريك كيف أضحى فاكهة و قطوفاً دانية واستبرق وحريرا.. وانظرى إلى دموعك اضحت أنهاراً من لبن.. ومن عسل تجرى، و إلى حجرتك أمست قصراً... و إلى ظلمات الأرض صارت شلالات من نور يتدفّق.. انتبهت فاطمة.. عادت إلى الأرض لتودّعها.. لتقول كلمتها قبل الرحيل الأبدى... عادت لتبنى بيت الأحزان... تبكى الأرض المثقلة بالهم... بالدموع و بالألم. [صفحه ۲۱۷]

القسمت ۳۷

لفّت فاطمة خمارها، واشتملت بردائها و الازار و نهضت بأمر اللّه. مابين دار فاطمة و المسجد خطوات، قطعتها ثابتة الخطى لكأنها محمّد و عاد يصحح مسار الإنسان من جديد.. يقوده إلى منابع النور والخلود. جاءت فاطمة تحفها نسوة و بنات دخلت المسجد.. لتقول كلمتها للأُمّة و التاريخ. و أنّت من وراء حجاب... انّة هى أنّة هابيل قبل ان يموت... فيها عذابات «آسية»... و حزن «مريم». ولوعة «يوكابد»... بكى المهاجرون و بكى الأنصار واهتزّ قلب كالصخر ولان. قالت بنت آخر الأنبياء وقرينة مؤسس البلاغة فى العرب: - الحمد للّه على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم والثناء بما قدّم [صفحه ۲۱۸] من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها و تمام منن أولاها، جمّ عن الاحصاء عددها، ونأى من الجزاء أمدها و تفاوت عن الادراك أبدها. وأشهد ان لا إله الّا اللّه وحده لا شريك له، كلمة جعل الاخلاص تأويلها، و ضمن القلوب موصولها، و أنار فى التفكير معقولها، الممتنع عن الأبصار رؤيته، و من الألسن صفته و من الأوهام كيفيته، ابتدع الأشياء لا من شىء كان قبلها، و أنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كوّنها بقدرته و ذرأها بمشيئته. وأشهد ان أبى محمّداً عبده و رسوله، اختاره قبل أن أرسله، وسمّاه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، و بستر الأهاويل مصونة، و بنهاية العدم مقرونة. ابتعثه اللّه اتماماً لأمره و عزيمة على امضاء حكمه و انفاذاً لمقادير حتمه، فرأى الأُمم فرقاً فى أديانها عكفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة للّه مع عرفانها، فأنار اللّه بأبى محمّد ظُلمتها و كشف عن القلوب بهمها و جلّى عن الأبصار غممها... ثم قبضه اللّه اليه قبض رأفة و اختيار و رغبة و ايثار. محمد من تعب هذه الدار فى راحة، قد حفّ بالملائكة الأبرار، و رضوان الربّ الغفار، و مجاورة الملك الجبّار، صلّى اللّه على أبى وأمينه و خيرته من الخلق و صفيّه والسّلام عليه و رحمة اللّه و بركاته. [صفحه ۲۱۹] وقف التاريخ مذهولاً لكلمات سماوية لكأنها حورية هبطت الأرض تحمل لها قبساً من نجوم السماء. سكتت فاطمة هنيهةً واستجمعت قوّتها لتهزّ النخلة علّها تساقط رطباً جنيا: أيّها الناس، اعلموا أنّى فاطمة و أبى‌محمد أقول عوداً و بدواً، و لا أقول ما أقول غلطاً، و لا أفعل ما أفعل شططاً، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تعزوه و تعرفوه تجدوه أبى من دون نسائكم، و أخا ابن عمى دون رجالكم، ولنعم المعزّى إليه، فبلغ الرسالة صادعاً بالنذارة مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثبجهم، آخذاً بأكظامهم داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة و الموعظة الحسنة يجفّ الأصنام و ينكث الهام، حتى انهزم الجمع و ولّوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محضه و نطق زعيم الدين، و خرست شقاشق الشياطين. و كنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، و نهزة الطامع، و قبسة العجلان، موطئ الأقدام، تشربون الطرق، و تفتاتون القدّ، أذلّة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم اللّه تبارك و تعالى بمحمّد صلى اللّه عليه و آله بعد اللتيا والتى. ودوّت صرختها توقظ الضمير الذى أخلد إلى الأرض: [صفحه ۲۲۰] أيها المسلمون: أأغلب على إرثى! يا ابن أبى‌قحافة، أفى كتاب اللّه ترث أباك و لا أرث أبى، لقد جئت شيئاً فريّاً، أفعلى عمد تركتم كتاب اللّه ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول:(وورث سليمان داوود). و قال فى ما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: (فهب لى من لدنك ولياً يرثنى ويرث من آل يعقوب). و قال: (و أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب اللّه). و قال: (يوصيكم اللّه فى أولادكم للذكر مثل حظّ الانثيين). و قال: (إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقّاً على المتّقين). ؤ وزعمتم أن لا حظوة لى و لا إرث من أبى و لا رحم بيننا، أفخصّكم اللّه بآية أخرج أبى منها؟! أم هل تقولون: إنّا أهل ملّتين لا يتوارثان أولست أنا و أبى من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن

و عمومه من أبی و ابن عمی. فدونکها مخطومة مرحولة، تلقاک یوم حشرک، فنعم الحکم اللّه، والزعیم محمّد، و الموعد القیامة، و عند الساعة یخسر المبطلون. و لا ینفعکم إذ تندمون، ولکلّ نبأ مستقر، و سوف تعلمون من یأتیه عذاب یخزیه و یحلّ علیه عذاب مقیم. [صفحه ۲۲۱] لقد مات الضمیر... دفنه رهط من المدینة فی أرض فدک، فراحت البتول تحذّرهم أیام اللّه: فدونکموها فاحتقبوها، دبرة الظهر، نقبة الخفّ، باقیة العار، موسومة بغضب الجبّار، و شنار الأبد، موصولة بنار اللّه الموقدة التی تطّلع علی الأفئدة، فبعین اللّه ما تفعلون، وسیعلم الذین ظلموا أیّ منقلب ینقلبون، وأنا ابنة نذیر لکم بین یدی عذاب شدید فاعملوا إنّا عاملون، وانتظروا إنّا منتظرون. غادرت الزهراء المسجد وقد زلزلت الأرض زلزالها و صرخ رجل غصب میراث الأنبیاء: - اقیلونی بیعتی... و نظر الرجال الی حیث کشفت فاطمة آفاق المستقبل فإذا السحب الحمراء مخزونة بالرعود و الأرض ملغومة بالزلازل و أنهار من دمّ، و جماجم وضحایا. وفرّ الإنسان.. ألقی أمانة تهیبت السماوات والأرض عن حمْلها و حمَلها الإنسان انه کان ظلوماً جهولا. [صفحه ۲۲۳]

القسمت ۳۸

کما تذوی الشموع فی قلب الظلمات... کما تذوب و تسیل دموع التوهج.. کانت «فاطمة» تذوی.. قوامها یزداد نحولاً... قرّرت فاطمة الصمت و ان تصوم کما صامت مریم من قبل... و أدرک علیّ ان الرحیل و شیک و ان «البیت» الذی بناه من جرید النخل «بالبقیع» سیکون ملجأً لفاطمة... بیتاً للأحزان و الآلام... سیشهد ذلک البیت انطفاء الشموع.. رحیل النجوم... و مصرع شمس أضاءت حیاته مدّت بالدفء.. النور.. الأمل. سکتت فاطمة. والذین اشتکوا من بکائها لم یعودوا یسمعون انیناً ینبعث من أعماق قلب کسیر. لم یعد أحد یسمع نشیجها الّا الذین یمرّون ب«البقیع».. غابت فاطمة کما تغیب النجوم خلف السحب الدکناء. غابت فاطمة کفراشة تبحث عن الشمس... عن ربیع مضی تطارده ریاح شتائیة. [صفحه ۲۲۴] غابت فاطمة.. لم یعد أحد یسمع بها.. انها تذوی وحیدة فی بیت من جرید النخیل غادرته الحیاة.. الملائکة لا ترید حیاة الأرض، والحوریات لا تعیش فی عالم التراب.. والذین اکتشفوا السماء لن یطیقوا الانتظار... و عندما یدرک الأنبیاء ان مواعظهم لاتجد آذاناً واعیة سیتحدّثون بلغة الصمت... فی بیت الأحزان کانت فاطمة تذوب کشمعة متوهّجة تحرق نفسها لتبعث النور والدفء من حولها... فاطمة تتحدّث بلغة الشموع لغة لا یسبر غورها إلّا فراشات النور. ها هی فاطمة تصرخ بصمت: - بدویّ صمتی انادیکم.. ثورتی تنطوی فی حزنی.. و رفضی کامن فی دموعی. و هذا کلّ ما أملکه من لغة... علّکم تفهمون خطابی. انا مظلومة یا ربیّ... حرّرنی من هؤلاء. ذوت الشمعة... أحرقت نفسها. لم یبق منها إلّا حلقات من نور... آن لها أن تنطفئ. الوجه یشبه قمراً أنهکته لیلة شتائیة طویلة بدا مصفرّاً... و کان الصوت واهناً تحمله أمواج حزینة... والدموع غزیرة کمطر سماء غاضبة... [صفحه ۲۲۵] رتبت «اسماء» فراش سیدتها و سیّدة کلّ امرأة فی التاریخ... لم یعد الجسد الواهن قادراً علی تحمل روح عظیمة ترید الانطلاق إلی عوالم لانهائیة. وجاء الشیخان یریدان عیادتها و قد أوجسا خیفة... فاطمة غاضبة... ینشدان رضاها.. رضا السماء و الأرض والتاریخ. هکذا قال محمّد من قبل ولکن انّی لهما ذلک و فاطمة تکاد تمیز من الغیظ.. قال عمر لعلیّ و هو یحاوره: - یا أباالحسن ان أبابکر شیخ رقیق القلب و کان مع رسول‌اللّه فی الغار.. و قد أتیناها غیر هذه المرّة فلم تأذن لنا.. فاستأذن لنا منها ماذا یقول أبوحفص کیف یفکّر هذان الرجلان.. نهض علیّ جلس عند فاطمة و قال مستأذناً: - یا بنت رسول‌اللّه قد کان من هذین الرجلین ما قد رأیت وقد تردّدا مراراً ورددتهما.. وقد جاءا الآن یسألانی الأذن. - و اللّه لا أُکلّمهما حتی ألقی أبی. - یا بنت محمّد.. انی قد ضمنت لهما الأُذن. [صفحه ۲۲۶] - امّا وقد ضمنت لهما شیئاً فلا اخالفک. شعر أبوبکر بالأمل یراود قلبه و نظر إلی صاحبه بامتنان. - السلام علیک یا بنت رسول‌اللّه. -... - إنّا جئنا نسألک العفو و قد أقررنا بالإساءة. -... - ارضی عنا رضی اللّه عنک. -... - لا تحوّلی وجهک عنّا.. انّا نطمع أن یغفر لنا ربّنا... قالت فاطمة کلمتها الأخیرة: - ان کنتما صادقین فاخبرانی عمّا أسألکما. - سلی یا بنت رسول‌اللّه. - نشدتکما باللّه هل سمعتما أبی یقول: فاطمة بضعة منی فمن آذاها فقد آذانی؟ - اللّهم نعم. رفعت الزهراء یدیها امام محکمة السماء: - اللّهم اشهد فانّهما قد آذیانی.. وأنی اشکوهما الیک. انتفض أبوبکر. ودّلو تبلعه الأرض. [صفحه ۲۲۷] - یا ویلی..

یا ویلی.. لیتنی لم اتّخذک خلیلا. لقد ضللتنی عن الذکر بعد إذ جاءنی. أجاب صاحبه و کان فضّاً غلیظ القلب: – لا تجزع یا خلیفة الرسول لغضب امرأة. هتف بمرارة. – اقیلونی.. فقد ترضی فاطمة. رمقه عمر بعینین متنمّرتین: – ماذا تقول یا خلیفة الرسول... أترضی فاطمة و تغضب عائشة... والأقربون أولی بالمعروف. ولقد قضی الأمر. وقف أبوبکر عاجزاً عن صدّ الریاح وهی تعدو مجنونة تهزّ شجرة غرسها رسول السماء ترید أن تجتثها من فوق الأرض. وقف الخلیفة عاجزاً عن توجیه قافلة التاریخ الجهة التی أرادها سیّد التاریخ وهاهو یتّخذ طریقه فی الصحراء سربا. و تمرّ الأیام و الریاح المجنونة التی ترید اجتثات شجرة غرستها السماء فی الأرض... تکاد تأتی علی شمعة تسیل دموعها قطرات حزینة... ولسوف تنطفئ بعد حین. [صفحه ۲۲۹]

القسمت ۳۹

هوت الشمس.. اشتعلت حمرتها فی الاُفق کجراح الشهداء... و شیئاً فشیئا زحفت کتائب المساء و لملمت الشمس خیوطها و رحلت بعیداً.. و ظهرت نجیمات تومض بأمل و فاطمة مشغولة دبّت فی جسدها عروق الحیاة.. قالت لاسماء بسکینة: – اسکبی لی غسلًا. فرحت اسماء و هی تری سیدّتها تقبل علی الحیاة تخطو نحو العافیة. اغتسلت فاطمة... تطهّرت من أدران الأرض وارتدت ثیاباً جدداً.. و تعطّرت بکافور کان جبریل قد أهداه إلی أبیها... قالت فاطمة وقد شاعت ابتسامة فی وجهها. –افرشی لی وسط البیت... فاطمة تستعد للرحیل... لم یکن فی البیت أحد سوی اسماء... [صفحه ۲۳۰] اسماء تراقب فتاة تشعّ نوراً کلما اشتدت ظلمة الأرض. قالت فاطمة قبل أن ترقد: – یا أسماء أنا استقبح ما یفعل بالمرأة بعد الموت یطرح علیها ثوب فیصفها للناظر... ألا تصنعین لی شیئاً یسترنی. أجابت اسماء تطیب خاطرها: – کنت بأرض الحبشة فرأیتهم یصنعون شیئاً فان أعجبک صنعت لک مثله. هزّت فاطمة رأسها موافقة.. و راحت تراقب اسماء و قد تدفّقت ینابیع الأمل فی قلبها الکسیر. أحضرت السماء سریراً فأکبته علی وجهه ثم جاءت بجرید النخل و أوصلت بین قوائمه و شدّتها بحبال من اللیف... ثم ألقت علیه غطاءً. بان الرضا فی وجه حوریة الأرض وابتسمت: – نعم اصنعی لی مثله.. ما أجمل هذا یا اسماء... استرینی سترک اللّه. تمدّدت فاطمة فی فراشها ثم وضعت یدها تحت خدّها.. أغمضت عینیها ونامت... و کانت اسماء قد سمعتها تتمتم بصوت ملائکی: – السلام علی جبریل. الهی فی رضوانک و جوارک ودارک دار السلام. [صفحه ۲۳۱] فاحت فی الفضاء رائحة الجنّة.. کانت اسماء تنظر إلی وجه ملائکی لسیّدة ودّعت الأرض فی عنفوان الشباب زهرة ذابلة فی قلب الربیع.. حمامة بیضاء کسیرة الجناح.. حوریّة شهیدة. وجاء علیّ وقد بدا مکسور الظهر کما لو انّه یحمل جبالاً من الحزن و بید مرتعشة ناولته اسماء رقعة کانت فاطمة قد کتبتها قبل أن تغفو: تجمعت الدموع فی عینیّ علیّ کغیوم ممطرة و غرقت الکلمات کحمائم تتقاذفها الأمواج. – بسم اللّه الرحمن الرحیم.. هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسولاللّه صلی اللّه علیه و آله.. وهی تشهد أن لا إله إلّا اللّه وأن محمداً عبده و رسوله.. و ان الجنّة حقّ والنار حقّ و ان الساعة آتیة لا ریب فیها و ان اللّه یبعث مَن فی القبور... یا علیّ أنا فاطمة بنت محمّد زوجنی اللّه منک لأکون لک فی الدنیا و الآخرة.. حنطنی و غسلنی وکفّنی وصلِّ علیّ وادفنّی باللیل و لا تُعلم أحداً، و أستودعک اللّه إلی یوم القیامة. وقف علیّ مذهولاً، کانت فاطمة سکناً.. ملاذاً و کانت عزاءه الوحید.. وهاهی تودّعه.. تترکه وحیداً فی مهب اعصار فیه نار. [صفحه ۲۳۲] وقف علیّ ینوء بجبال الحزن برکام الغیوم.. ولقد توقف القلب الذی کان یتدفق حبّاً وانطوت صفحة کانت مشرقة وانطفأ شعاع کان یضیء طریقه فی الحیاة... وانکسر «ذوالفقار»... و تمزّقت أوتار الفرح.. الظلام یغمر الأرض و النجوم تشتدّ بریقاً کعیون تتطلّع إلی کوکب تهشم فوق الأرض. وقف التاریخ حائراً، وقد اشتدّت ظلمة اللیل والحزن یجوس المدینة کغیمة تبکی بصمت، وعواء ذئاب بعیدة تنذر برحیل السلام. هاهی الحوریة تترک الأرض لأهل الأرض و تعود إلی السماء. وجاء أهل المدینة یوارونها الثری فقال لهم أبوذر: – انصرفوا فقد أُخّر إخراجها. انصرف الناس فیما ظلّ التاریخ حائراً یترقّب. نامت المدینة.. اغمضت اجفاناً مثقلة بالحزن و الدموع... بدت یثرب تلک اللیلة راهبة تبکی بصمت. [صفحه ۲۳۳]

القسمت ۴۰

فاطمـهٔ نائمـهٔ واضـعهٔ يدها تحت خدّها... وقد غادرت الروح العظيمهٔ أهاب جسد نحيل ينتظر عودته إلى عناصـر التراب فقد ناء بحمل الروح و آن له ان يستريح. لم يكن فى حجرهٔ فاطمهٔ أحد سوى صبيين و بنت ورجال صدقوا. كان التاريخ يصغى إلى تمتمات صلاهٔ و بكاء يحكى نشيج الميازيب فى مواسم المطر. شعـر التاريخ بالاعياء وهوّمت عيناه و هو ينتظر فى الظلام.. اغمض عينيه فانسلّت فاطمهٔ كطيف مضـىء.. ولمّـا استيقـظ لم يجـد شـيئاً ووجـد علياً واقفاً ينفض عن نفسه الغبـار و يهمس فى اُذن الرسول: – السـلام عليك يا رسول‌اللّه عنى وعن ابنتك النازلـهٔ و السـريعهٔ [صـفحه ۲۳۴] اللحـاق بـك، قلّ يا رسول عن صـفيتك صبرى ورق عنها تجلّـدى... امّا حزنى فسرمد، و امّا ليلى فمسـهّد، إلى ان يختار اللّه لى دارك التى انها بها مقيم، وسـتنبئک ابنتک بتظافر امّتک على هضمها، فأحفها السؤال و اسـتخبرها الحال، هذا و لم يطل العهد و لم يخلُ منك الذكر والسـلام عليكما سـلام مودّع لا قالٍ و لا سـئم، فان انصرف فلا عن ملالهٔ، و ان أقم فلا عن سوء ظنٍّ بما وعد اللّه الصابرين. ونهض علىّ يواجه الدنيا وحيداً، يشـعر بالغربهٔ فلقد وارى بيده آماله و قلبه و سـيفه ذاالفقار... وتمتم بحسـرهٔ: – فقـدُ الأحبـهٔ غربـهٔ. وقف التاريـخ يقلّب كفيّه على ما انفق من وقت وهاهى فاطمـهٔ ترحل بصـمت لا‌يعرف أين مسـتقرّها. مـاذا سـيقول للعالم. انّه لايعرف عن هـذه الفتاهٔ شـيئاً... فقائل يقول انّها جاءت إلى الـدنيا قبل أن يهبط جبريل بخمس سـنين، وقائل يقول بل بعـد جبريل بخمس سـنين، وآخر يقول وهو ثالث القائلين.. انّها جاءت مع جبريل ثم مكثت فى الأرض عدد سـنين فلما غادر جبريل الأرض أخذها معه. لكأنها حوريهٔ جاءت إلى الدنيا ثم عادت إلى الجنّهٔ تخطر بين الأشجار الخالدهٔ ليبقى طيفها فى الأرض مادامت السماوات. [صفحه ۲۳۵] استيقظت المدينهٔ تبحث عن فاطمهٔ وقد رحلت فاطمهٔ... وجاء الشيخان يبحثان فى الأرض و كان أحـدهما يتوعـد... حتّى همّ بنبش رفاهٔ المقابر وكان التاريخ يجوس خلال البقيع يقلّب كفيه حائراً لا يدرى أين فاطمهٔ.. شمّ رائحـهٔ الجنّهٔ فى بقعـهٔ بالبقيع.. فقال: هنا ترقـد فاطمـهٔ.. وفاحت رائحـهٔ الفردوس حيث يرقـد محمّد بسـلام.. فقال: بل هاهنا ورأى ملائكـهٔ تهبط فى حجرتها فأشار بيده المعروقهٔ وهتف: بل هناك. وحار الشيـخ ماذا يقول للقوافل المسافرهٔ كلّما مرّت امّهٔ سألته عن قبر لفاطمهٔ فيقلّب كفّاً معروقهٔ و يقول: – لا أدرى. و تمضـى القوافل تسخر من شيخ يفتح عينيه على كلّ شىء إلّا على فاطمهٔ.. و لمّا ضاق الشيـخ ذرعاً بالقوافل عاد إلى حجرهٔ فاطمـهٔ يعتـذر اليها.. اشـعل شـمعهٔ وراح يراقبها.. كانت الشـمعهٔ تتوّهـج.. تـذوب.. تسـيل دموعها بصمت.. و شيئاً فشيئاً كانت تذوى ويخبو نورها حتى انطفأت وساد الظلام.

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِـدُوا بِـأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِـكُمْ فى سَبيـلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُـونَ (التوبـهٔ/۴۱). قـالَ الإمـامُ علیّ ُبنُ موسَـی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْـداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَـنـادِرُ البِحـار – فی تلخيص بحـار الأنوار، للعلّامـهٔ فيض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشـّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع " القائميّـهْ "الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشـهيد آيـهْ الله" الشـمس آباذی – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحـداً من جَهابـذهٔ هـذه المدينهٔ، الـذی قـدِ اشـتهَرَ بشَـعَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِـم) و لاسيَّما بحضـرهٔ الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّـلام) و بساحهٔ صـاحِب الزّمـان (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهـذا أسّـس مع نظره و درايته، فی سَـنَـهِْ ۱۳۴۰ الهجريّهٔ الشمسيّهٔ (=۱۳۸۰ الهجريّهٔ القمريّـهٔ)، مؤسَّسـهً و طريقـهً لم يَـنطَفِئ مِصـباحُها، بـل تُـتَّبَع بـأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كـلَّ يوم. مركز" القائميّـهٔ "للتحرِّی الحـاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَهِٔ ۱۳۸۵ الهجريّهٔ الشمسيّهٔ (=۱۴۲۷ الهجريّهٔ القمريّهٔ) تحتَ عناية سماحة آيهٔ الله الحاجّ السيّد حسن الإمـامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَـدَهِٔ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّـهٔ و طلاب الجوامع، بالليـل و النهار، فی مجالاتٍ شـتّی: دينيّهٔ، ثقافيّهٔ و علميّهٔ... الأهداف: الدّفاع عن ساحهٔ الشيعهٔ و تبسيط ثَقافهٔ الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهـمُ السَّلامُ) و معارفهما،

تعزيز دوافع الشبّاب و عموم الناس إلى التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة –فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت– عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَى. – من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتی " القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة "تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة) رقم التسجيل: ۲۳۷۳ الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.



مرکز القائمیه اصفهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
www
للحصول علی المکتبات الخاصه الاخری
ارجعوا الی عنوان المـرکز من فضلــکم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلکم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹